البحث الأول

الفجوة بين الدعاة والمدعوين
أسبابها وسبل علاجها

ا.د. حسين محمد محمود عبد المطلب
عميد الكلية

المقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستغفره ، ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له والصلاة والسلام على إمام الهدي والنبي المجتبي سيدنا محمد على آله وصحبه وسلم .

أما بعد :

فإن من أهم القضايا الدعوية التي تستحق الدراسة ، والتي تعتبر من أهم ركائز الدعوة الإسلامية ، قضية العلاقة بين الدعاة والمدعوين .

ذلك لأنه باستقامة هذه العلاقة وحسن سيرها على المنهج الصحيح والطريق السوى تستقيم أمور الأمة ، وتحقق الغاية التي من أجلها أوجد الله الإنسان وهي عبادته وحده قال تعالى : وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ {٥٦} (١) .

وإن اختلت هذه العلاقة ، وحدث شرخ فيها كانت – لاشك – العواقب وخيمة ، حيث يعم الجهل ، وينتشر الفساد ، وتسود الفوضى ، وبذلك تضعف الأمة الإسلامية ، وتصبح لا وزن لها ولا تأثير .

ولا شك أن هاتين القضيتين – أعنى قضية حسن العلاقة بين الدعاة والمدعوين ، وما يترتب عليها من الفوائد والمنافع والمصالح ، وقضية اختلال العلاقة بينهما وإيجاد فجوة ينتج عنها مفاسد كثيرة ، وأضرار خطيرة – من أهم القضايا التي يجب على الدعاة تجليتها وتوضيحها، وبخاصة اختلال هذه العلاقة قد تجاوز الحدود في الوقت الحاضر .

---

(١) سورة الذاريات آية : ٥٦

أسباب اختيار هذا الموضوع

ومن ثم فإن هذه القضية شغلت تفكيري سنوات عديدة كنت أرقب فيها الواقع وأجمع فيها شتات الموضوع ، وأدون ما يخطر فى البال من تصورات لهذا الواقع ، حتى تكون لدىّ تصور – أعتقد من وجهة نظري المحدود أنه – كافٍ .

ومن الأسباب التي دعتني للكتابة فى هذا الموضوع والتي قد يلحظها أي إنسان متابع لحركة حياة المسلمين اليوم فى شتى بقاع الدنيا ما يلي :-

أولاً : السخرية بالدعاة والاستهزاء بهم ، وبخاصة الذين يلبسون الزىّ الأزهري في وسائل الإعلام وبخاصة الوسائل الإعلامية المرئية .

ثانياً : جعل الدعاة فى مؤخرة الصفوف فى كل قناة من قنوات الحياة ، وهذا واضح وجلى نلحظه دائماً وخاصة عند قضاء مصالحهم أو عند ركوب إحدى المواصلات العامة ، فلا احترام ولا تقدير ، بل ازدراء وتحقير .

ثالثاً : سوء معاملة معظم الناس لخريجي الأزهر ، إما بعدم تقديرهم ، وإما بعدم اعتبار أقوالهم ، وإما لنقص العدل فى الحكم عليهم .

رابعاً : عدم مواكبة الدعاة لظروف وأحوال العصر .

خامساً: إهدار مكانة الدعاة بالكلام عليهم إن أخطأوا ، والتشهير بهم وتعييرهم ، والتجرأ عليهم

سادساً : قصور معظم الدعاة عن أداء رسالتهم على الوجه الأكمل .

سابعاً : الحاجة الملحة في لفت الأنظار لهذا الموضوع الخطير والعمل على أيقاظ المسلمين – دعاة ومدعويين من غفلتهم والنصح لهم عملاً بقول النبي الكريم ﷺ " الدين النصيحة .(١)

لهذه الأسباب وغيرها صغت هذا الموضوع – بجهد متواضع – فى كتاب جعلت عنوانه : (الفجوة بين الدعاة والمدعوين – أسبابها ، وسبل علاجها)

وجاء هذا الكتاب في مقدمة وثلاثة فصول :-

أما المقدمة : فقد وضحت فيها – بعد الحمد والثناء على الله عز وجل ، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ – بيان منهجي فيه .

وأما الفصل الأول وعنوانه : مكانة الدعاة في الإسلام .

والفصل الثاني وعنوانه : أسباب الفجوة بين الدعاة والمدعوين .

---

(١) رواه الشيخان

والفصل الثالث وعنوانه : سبل علاج الفجوة بين الدعاة والمدعوين

و أسأل الله أن يعينني في إخراج هذا الموضوع وإتمامه ، وهو سبحانه المسئول أن يجعلـــه خالصاً لوجهه الكريم ، والله من وراء القصد ... وهو الهادي إلى سواء السبيل .

الفصل الأول
مكانة الدعاة في الإسلام

قبل أن نتكلم عن أسباب الفجوة بين الدعاة والمدعوين يحسن بنا أن نوضح أولاً مكانة الدعاة فى الإسلام من حيث أهميتهم ، وطبيعة العلاقة السويّة بينهم وبين الناس ، وكيف كانت هذه العلاقة؟ ثم واقع هذه العلاقة فى الوقت الحاضر حتى تتضح الرؤية للقارئ الكريم.

المبحث الأول : من هم الدعاة ؟

الدعاة هم العلماء ، والعلماء هم ورثة الأنبياء ، ورثوا عنهم العلم ، فهم يحملونه في صدورهم ، وينطبع – فى الجملة – على أعمالهم ، ويدعون إليه الناس

والعلماء هم " فقهاء الإسلام ، ومن دارت الفتيا على أقوالهم بين الأنام الذين خصوا باستنباط الأحكام ، عنوا بضبط قواعد الحلال من الحرام "[1]

والعلماء هم : العارفون بشرع الله ، المتفقهون فى دينه ، العاملون بعلمهم ، على هدى وبصيرة، الدين وهبهم الله الحكمة " ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً "[2]

والعلماء هم : هداة الناس الذين لا يخلو زمانا منهم حتى ياتى أمر الله ، فهم رأس الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة يقول الرسول ﷺ . " لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم، أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس"[3]

---

(١) إعلام الموقعين جـ١ ص٧ للإمام ابن قيم الجوزية .

(٢) سورة البقرة آية : ٢٦٩ .

(٣) رواه البخاري في صحيحه كتاب الاعتصام باب قول النبي ﷺ لاتزال طائفة جـ ٨ ص ١٤٩ ورواه مسلم في صحيحه كتاب الإمام باب قوله ﷺ لاتزال طائفة جـ٣ ص ١٥٢٤ وهذا لفظ مسلم من حديث معاوية رضي الله عنه .

إن العلماء، وإن غابت شخوصهم فآثارهم موجودة ، قال على بن أبي طالب رضى الله عنه: " العلماء باقون ما بقى الدهر ، أعيانهم مفقوده ، وآثارهم فى القلوب موجودة"[١]

هذا ، ومما يشهد لما ذكرنا نصوص كثيرة مبثوتة فى الكتاب والسنة ، وسنكتفى بإيراد بعضها لدلالته على المعنى مما يغني عن الاستقصاء الكامل لها حرصا على صحة المعنى ، وبعداً عن الإطالة .

وتلك النصوص هي – قال تعالى – " شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم "[٢].

وقال تعالى " قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعملون "[٣] .

وقال تعالى : " إنما يخشى الله من عباده العلماء" [٤].

وقال جل جلاله : " وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها إلا الصابرون "[٥].

وقال سبحانه وتعالى : " وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون " [٦] .

وقال جل جلاله : " يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات "[٧].

هذه بعض نصوص القرآن الكريم التى تشهد لصحة المعنى السابق وهو أن المراد بالعلماء إنما هم علماء الشريعة [٨] ، علماء الدعوة الإسلامية .

أما نصوص السنة النبوية فمنها قول النبي ﷺ: " إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا "[٩].

---

(١) رواه ابن عبد البر " جامع بيان العلم وفضله جـ ١ ص ٦٨ .

(٢) سورة آل عمران آية : ١٨٤.

(٣) سورة الزمر آية : ٢٨.

(٤) سورة فاطر آية : ٢٨

(٥) سورة القصص آية : ٨٠ .

(٦) سورة العنكبوت آية : ٤٣ .

(٧) سورة المجادلة آية : ١١ .

(٨) انظر قضايا الرأي العام العلاقة بين العلماء والدعاه : د / سيد محمد ساداتي الشنقيطي صـ ٣١-٣٢ ، الكتاب الإسلامي – الطبعة الأولي .

(٩) البخاري كتاب العلم باب كيف يقبض العلم .

وقال ﷺ: " من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين ، إنما أنا قاسم ويعطي الله ، ولن يزال أمر هذه الأمة مستقيماً حتى تقوم الساعة وحتى يأتي أمر الله "[١].

وقال ﷺ: " إن مثل العلماء فى الأرض كمثل النجوم فى السماء يهتدي بها فى ظلمات البر والبحر فإذا طمست النجوم أوشك أن تضل الهداة "[٢] .

وقال ﷺ" العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما ، إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر "[٣].

هذه بعض نصوص السنة النبوية المطهرة ، وهي نصوص دالة على صحة المعنى السابق ، ولا غرو بعد ذكر نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المؤيدة لرأى كثير من العلماء ، فيما يتعلق بكون المقصود بهم علماء الشريعة فى ذكر بعض تلك الأقوال بنصها بعد الإشارة إليها إجمالا ، حتى يكون هذا المعنى فى غاية الوضوح والظهور والبيان [٤] ، قال الأوزاعي : " العلم ما جاء به أصحاب محمد ﷺفما كان غير ذلك فليس بعلم " [٥] .

وقال الشاطبي : فعلى كل تقدير لا يتبع أحد من العلماء إلا من حيث هو متوجه نحو الشريعة قائم بحجتها ، حاكم بأحكامها جملة وتفصيلا ، وأنه متى وجد متوجها غير تلك الوجهة لم يكن حاكما ولا استقام أن يكون مقتدى به فيما حاد فيه عن صواب الشريعة البتة[٦].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله " فأصل علم الأنبياء وعملهم هو العلم بالله والعمل لله " [٧].

وعلى هذا فالمقصود بالعلماء هم : العالمون بشرع الله المتفقهون فى الدين والعاملون بعلمهم عل هدى وبصيرة على سنة رسول الله ﷺ وسلف الأمة الصالح الداعون إلى الله بالحكمة التى وهبهم الله إياها " ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً .

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) مسند الإمام أحمد ١٥٧/٣ .

(٣) رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح أبي داود ٦٩٤/٢.

(٤) انظر من قضايا الرأي العام صـ ٤٣ .

(٥) بيان فضل علم السلف – لابن رجب الحنبلي مكتبة دار البيان طـ ١ عام ١٤١٣هـ ص٣٠.

(٦) قواعد التعامل مع العلماء – الشيخ عبد الرحمن بن معلا اللويحق – دار الوراق الطبعة الأولي عام ١٤١٥هـ ١٩٩٥م. صـ ٦٤-٦٥ .

(٧) الفتاوي لابن تيميه – عالم الكتب عام ١٤١٩هـ ١٥/٢ .

والحكمة : العلم والفقه [1]

وهم بهذا التعريف هم الدعاة بداهة ،وهم ورثة الأنبياء ، والأنبياء هم الـــدعاة ، وهم حجة الله فى أرضه ، وأهل الحل والعقد ، والمؤتمنون على مصالح العباد وهم " من له فى الأمة لسان صدق عام بحيث يثنى عليه ويحمد من جماهير أجناس الأمة ، فهؤلاء" أئمة الهدى ومصابيح الدجى "[2] .

قال أحمد عز الدين البيانوني " فى الأمة صنف من العلماء طلبوا العلم لله ، وسلكوا سبيل الاستقامة فعملوا بما عملوا فنور الله تعالى بصائرهم بالعلم ، وأنطق ألسنتهم بـــالحق ، وجعلهم مصابيح الهدى ودعاة الرشاد "[3].

والإسلام لا يقوم صرحة إلا على كواهل هؤلاء الرجال الذين صغرت فى عيـــونهم الدنيا ، فلم تفتنهم شهوات ولا مغريات مطامع لمعرفتهم بالله حقا وإقبالهم عليه ، بقلـــوب صادقة وأعمال صالحة [4]. وإنما العلماء أهل الأثر والفقه يتفاضلون فيـــه بالإتقـــان والميـــز والفهم" [5].

فليس العلم بكثرة الرواية ولا بكثرة المقال ولكنه نور يقذف فى القلب ، يفهم به العبد الحق ، ويميز بينه وبين الباطل ، ويعبر عن ذلك بعبارات وجيزة محصلة للمقاصد "[6]

وقد تبين مما سبق أن العبرة فى وصف العالم بالعلم ، ما يحويه صدره من العلم بالله ، وعن الله عز وجل ، وما اتصف به من تقوى الله وخشيته [7]، وهذا فى الحقيقة هـــو بيـــت القصيد فالعلم الذي صاحبه خشية الله كائناً ما كان نوعه ، يؤهل صاحبه لأن يكون فى زمرة العلماء، وهذا ما تشهد له آية فاطر " إنما يخشى الله من عباده العلماء " أى العلماء به الذين عرفوه بصفاته فعظموه ، ومن ازداد علما به ازداد منه خوفا ومن كان علمه به أقل كـــان آمنا، وقد جاء فى الحديث " أعلمكم بالله أشدكم له خشية " وتقديم اسم الله تعالى وتـــأخير

(١) من قضايا الصحوة د /ناصرعبد الكريم صـــ ٧٦ .
(٢) الفتاوي لابن تيمية ٤٣/١١وانظرمن قضايا الرأي العام صـــ ٢٦ بتصرف .
(٣) الدعوة إلي الإسلام وأركانها – دار السلام طـــ ٢ عام ١٤٠٥هـــ صـــ ٩٤ .
(٤) المرجع السابق ص ٢٣ .
(٥) سير أعلام النبلاء للذهبي مؤسسة الرسالة بيروت ٥٤٧/١٠.
(٦) بيان فضل علم السلف صـــ ٥٧-٥٨ .
(٧) قواعد التعامل مع العلماء ص ٣٨.

العلماء يؤذن أن معناه أن الذين يخشون الله من عباده العلماء دون غيرهم " [1]

قال المأوردي فى تفسيره " يعنى العلماء الذين يخافون "[2]. ذلك لأن خشية الله تورث صاحبه الانكفاف عن المعاصي والاستعداد للقاء من يخشاه ، ومن ثم فإن أهل خشية الله هم أهل كرامته "[3].

ولعل سعة مدلول العلماء بالصورة التى وردت فى آية فاطر بتذليل الآية بقوله جل جلاله " إنما يخشى الله من عباده العلماء " بعد ذكر أصناف المعارف التى تشيع فى الحياة مما يتفق مع ضرورة تأسيس الحياة فى جوانبها المختلفة على العلم ، ويتفق كذلك مع مكانة العلم عند المسلمين وانقسامه إلى فرض عين وفرض كفاية حتى تستوعب كافة أنشطة الحياة وهو أيضا ما يؤكد أهمية تعدد التخصصات العلمية المختلفة ويضفى المكانة الطبيعية على العلماء فى صنوف المعرفة شريطة أن تكسبهم معرفتهم خشية لله [4]فـ " كل من علم أو وجه المتعلمين إلى سلوك طريقة يحصل لهم فيها علم فهو داع إلى الهدى ، وكل من دعا إلى علم صالح يتعلق بحق الله تعالى أو بحقوق الخلق العامة والخاصة فهو داع إلى الهدى ، وكل من أبدى نصيحة دينية أو دنيوية يتوسل بها إلى الدين ، فهو داع إلى الهدى ، وكل محسن فى علمه أو عمله فاقتدى به غيره فهو داع إلى الهدى "[5] .

فالاقتداء إنما يصح بمن علم أنه عالم مهتد كما يقول البيضاوي فى تفسيره [6] ، على أن الأولى بالتقديم فى استحقاق وصف العلماء إنما هم العلماء بشرع الله حيث لا ينصرف الوصف عند الإطلاق إلا إليهم [7] .

ومن ثم فإن الشريعة الإسلامية جعلت للدعاة إلى الله تعالى منزلة سامية ، ومكانة عالية ، ومقاما رفيعا وذلك لأمرين :-

---

(١) انظر تفسير النسفي ج٢ ص ٣٤٠ نقلا من قضايا الرأي ص ٣٨

(٢) النكت والعيون للماوردي مؤسسة الكتب الثقافية بيروت ٤١٧/٤

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لابن سعدي مكتبة نزار الباز – مكة المكرمة عام ١٤٠٥ هـ ٣١٧/٦

(٤) أنظر من قضايا الرأي العام ص ٣٩

(٥) بهجة قلوب الأبرار عبد الرحمن السعدوي – دار المعارف – الرياض صـ ٢٥-٢٦.

(٦) انظر تفسير البيضاوي جـ ١ صـ ٢٨٦.

(٧) انظر من قضايا الرأي العام صـ ٤٠.

الأول : أن طاعتهم طاعة لله – عز وجل – ولرسوله – ﷺ ، فالتزام أمرهم واجب .

الثاني : أن طاعتهم ليست مقصودة لذاتها ، بل هي تبع لطاعة الله ورسوله ﷺ وأدلة هذه المكانة وتلك المنزلة كثيرة منها :-

الدليل الأول : أمر الله عز وجل بطاعتهم :

يقول الله تعالى "يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم"[1].

وقد اختلف المفسرون فى أولى الأمر منهم على أقوال :-

فقيل : هم السلاطين وذوو القدرة .

وقيل : هم أهل العلم .

وقال ابن عباس رضى الله عنهما " : يعنى أهل الفقه والدين ، وأهل طاعة الله الذين يعلمون الناس معاني دينهم ويأمرونهم بالمعروف ، وينهونهم عن المنكر ، فأوجب الله سبحانه طاعتهم على عبادة "[2]

وقيل هي : عامة فى أهل القدرة وأهل العلم فطاعتهم جميعا – واجبة فى طاعة الله .

قال الجصاص رحمه الله بعد إيراد الآثار المختلفة فى المراد بأولى الأمر ، وهل هم العلماء والأمراء : " ويجوز أن يكونوا جميعا مرادين بالآية ، لأن الاسم يتناولهم جميعا ، لأن الأمراء يلون تدبير الجيوش والسرايا وقتال العدو ، والعلماء يلون حفظ الشريعة ، وما يجوز ومالا يجوز فأمر الناس بطاعتهم والقبول منهم ما عدل الأمراء والحكام ، وكان العلماء عدولا مرضيين موثوقا بدينهم وأمانتهم فيما يؤدون " [3] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

" أولو الأمر : أصحاب الأمر وذووه ، وهم الذين يأمرون الناس ، وذاك يشترك فيه أهل اليد والقدرة ، وأهل العلم والكلام ، فلهذا كان أولوا الأمر صنفين ، العلماء والأمراء فإذا صلحوا صلح الناس ، وإذا فسدوا فسد الناس "[4]

---

(١) سورة النساء أية : ٥٩ .

(٢) رواة الطبراني في التفسير جـ٥ صـ١٤٩ ، انظر الدر المنثور للسيوطي جـ٢ ص١٧٦

(٣) أحكام القرآن جـ ٣ صـ ١٧٠ .

(٤) الفتاوي جـ ٢٨ صـ ١٧٠ .

وقال رحمه الله فى موضع آخر :

" وقد كان النبي ﷺ وخلفاؤه الراشدون يسوسون الناس فى دينهم ودنياهم ، ثم بعد ذلك تفرقت الأمور فصار أمراء الحرب يسوسون فى أمر الدنيا والدين الظاهر وشيوخ العلم يسوسون الناس فيما يرجع إليهم من العمل والدين ، هؤلاء أولو الأمر ، ويجب طاعتهم فيما يأمرون به من طاعة الله التى هم أولو أمرها " [١]

ويقول الإمام ابن كثير رحمه الله :

والظاهر والله أعلم أنها عامة فى كل أولى الأمر من الأمراء والعلماء [٢] .

وفى مرد طاعة الأمراء إلى طاعة العلماء ، ومرد طاعة العلماء إلى طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله ﷺ يقول الإمام ابن قيم الجوزية يرحمه الله :

" والتحقيق أن الأمراء إنما يطاعون إذا أمروا بمقتضى العلم ، فطاعتهم تبع لطاعة العلماء ، فإن الطاعة إنما تكون فى المعروف وما أوجبه العلم ، فكما أن طاعة العلماء تبع لطاعة الرسول ﷺ فطاعة الأمراء تبع لطاعة العلماء ، ولما كان

قيام الإسلام بطائفتي : العلماء والأمراء وكان الناس لهم تبعا ، كان صلاح العالم بصلاح هاتين الطائفتين ، وفساد بفسادهما " [٣] .

الدليل الثاني : أن الله سبحانه أوجب الرجوع إليهم وسؤالهم عما أشكل : يقول الله تعالى : "فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون"[٤] .

نعم فاسألوا أهل الذكر :

" ذلك أن السائل لا يصح أن يسأل من لا يعتبر فى الشريعة جوابه ، لأنه إسناد لأمر إلى غير أهله ، والإجماع على عدم صحة مثل هذا ، بل لا يمكن فى الواقع ، لأن السائل يقول لمن ليس باهل لما سئل عنه : أخبرني عما لا تدري ، وأنا أسند أمري لك فيما نحن بالجهل به على سواء ، ومثل هذا لا يدخل فى زمرة العقلاء[٥].

---

(١) المرجع السابق جـ ١١ صـ ٥٥١

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم جـ ١ صـ ٥١٨

(٣) اعلام الموقعين – تحقيق عبد الرووف سعد جـ ١ صـ ١٠ .

(٤) سورة الأنبياء آية : ٧ .

(٥) الموافقات للإمام الشاطبي جـ ٤ صـ ٢٦٢ .

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله :

إن عموم هذه الآية فيها مدح أهل العلم ، وأن أعلى أنواعه : العلم بكتاب الله المنزل ، فإن الله أمر من لا يعلم بالرجوع إليهم فى جميع الحوادث ، وفى ضمنه تعديل لأهل العلم وتزكية لهم حيث أمر بسؤالهم ، وأن بذلك يخرج الجاهل من التبعة[1].

فالعلماء إذن هم الوسيلة ، والطريق لتبيين الأحكام ، فهذا العلم يتوارثه أهله ، فيأخذه الخلف عن السلف بالتلقى ، وهؤلاء العلماء يبينون أحكام الله عز وجل للناس .

الدليل الثالث: أن الله سبحانه وتعالى عظم قدرهم فأشهدهم دون غيرهم على أعظم مشهود: يقول الله تعالى " شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة ، وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم"[2].

فقد أشهد الله – عز وجل – أهل العلم على أجل مشهود وهو توحيده ، وهذا يدل على فضل العلم والعلماء ، وأن العلماء فى جملتهم عدول ، لأن الله سبحانه لا يشهد إلا العدول ، وأن الخلق تبع لهم ، فإذا جعلهم الله عز وجل شهودا على أعظم مشهود ، فإن هذا يدل على أن لهم اعتبارا فى الشرع فيما دون ذلك .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله :

وفى ضمن هذه الشهادة الالهية : الثناء على أهل العلم الشاهدين بها وتعديلهم[3].

وقال الإمام القرطبي رحمه الله :

فى هذه الآية دليل على فضل العلم وشرف العلماء وفضلهم ، فإنه لو كان أحد أشرف من العلماء لقرنهم الله باسمه واسم ملائكته كما قرن اسم العلماء [4] .

وقال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي رحمه الله فى تفسير هذه الآية :

وفى هذه الآية فضيلة العلم والعلماء ، لأن الله خصهم بالذكر من دون البشر ، وقرن شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته ، وجعل شهادتهم من أكبر الأدلة والبراهين على توحيده ، ودينه وجزائه ، وأنه يجب على المكلفين قبول هذه الشهادة العادلة الصادقة ، وفى ضمن ذلك : تعديلهم ، وأن الخلف تبع لهم وأنهم هم الأئمة المتبوعون ، وفى هذا من الفضل

(١) تيسير الكريم الرحمن جـ٤ صـ ٢٠٦ .

(٢) سورة آل عمران آية : ١٨ .

(٣) التفسير القيم صـ ١٩٩ .

(٤) الجامع الأحكام القرآن جـ ٤ صـ ٤١ .

والشرف وعلو المكانة ما لا يقادر قدره[1].

الدليل الرابع : إن العلماء ورثة الأنبياء وهم المفضلون بعد الأنبياء على سائر البشر: عن أبي الدرداء رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

" فضل العالم على العابد كفضل ليلة البدر على سائر الكوكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، ولكنهم ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر "[2].

قال الإمام ابن رجب رحمه الله :

يعنى : أنهم ورثوا ما جاء به الانبياء من العلم ، فهم خلفوا الأنبياء فى أممهم بالدعوة إلى الله وإلى طاعته والنهى عن معاص الله والذود عن دين الله[3].

وإذا كان العلم الذي أوحى الله به إلى الأنبياء قد ورثه العلماء ، فإن العلماء أيضا ورثوا شيئا من الاعتبار الشرعي للأنبياء ، فالأنبياء مبلغون عن الله ، والعلماء مبلغون عن الأنبياء .

الدليل الخامس : أن الله عز وجل نفى التسوية بين العلماء وغيرهم / قال الله تعالى : " قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون "[4].

وفى هذه الآية الكريمة نفى الله تعالى التسوية بين أهل العلم والعوام ، وفى هذا دلالة على أن للعلماء من الاعتبار فى الشرع ، والمترلة بين الخلق ما ليس لغيرهم من البشر ، فالعلماء رفعهم الله على من سواهم من المؤمنين ، والمؤمنون رفعهم الله على من سواهم قال تعالى " يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات "[5]

قال الطبري رحمه الله :

" ويرفع الله الذين أوتوا العلم من أهل الإيمان على المؤمنين الذين لم يؤتوا العلم ، بفضل علمهم درجات إذا علموا بما أمروا به "[6].

الدليل السادس : أن أهل العلم أبصر الناس بالشر ومداخل الشر : قال تعالى " الذين أوتوا العلم إن الخزى اليوم والسوء على الكافرين"[7].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن جـ ١ صـ ٣٦٥.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده جـ ٥ صـ ١٩٦ والترمذي في سننه جـ ٤ صـ ١٥٣.

(٣) قواعد التعامل مع العلماء صـ ٥٤ .

(٤) سورة الزمر آية : ٩ .

(٥) سورة المجادلة آية : ١١ .

(٦) جامع البيان جـ ٢٨ صـ ١٩ .

(٧) سورة النحل آية : ٢٧ .

قال الشيخ العلامة عبدالرحمن بن سعدي رحمه الله :

" قال الذين أوتوا العلم أى : العلماء الربانيون : " إن الخزى اليوم " أى : يوم القيامة " والسوء " أى : سوء العذاب " على الكافرين " .

وفى هذا فضيلة أهل العلم ، وأنهم الناطقون بالحق فى هذه الدنيا ، ويوم يقوم الأشهاد ، وأن لقولهم اعتبارا عند الله وعند خلقه[1].

ويقول سبحانه وتعالى فى سياق قصة قارون : وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير.

فأهل العلم هنا كانوا متميزين عن غيرهم ، هم بصراء بالشر وعلماء بالخير ، فلما رأوا الناس يتمنون مثل ما أوتى قارون حذروهم من الشر ، وبينوا لهم الخير ، وأن الدار الآخرة خير لمن آمن وعمل صالحاً .

ولم يعرف هؤلاء الذين تمنوا حظوظ الدنيا ، أن العلماء على الحق ، إلا حينما حلت عقوبة الله بقارون عندها : " أصبح الذين تمنوا مكانة بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ، ويكأنه لايفلح الكافرون"[2].

ولما كان العلماء هم العارفون بالشر صاروا هم الذين ينهون الناس عن الوقوع فيه، قال الله تعالى"لو لا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون"[3].

أي : هلا نهاهم العلماء المتصدون لنفع الناس عن هذه الشرور العظيمة ، وهم – أي العلماء – العارفون بالشر ومداخله ، فكان لزاما أن يبينوا للناس ، والناس عليهم لزوم طاعة العلماء ، والاستجابة لتحذيرهم من الشر ونهيهم عن المعاصى .

الدليل السابع : أن الناس فى أمس الحاجة إلى الدعاة يقول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله :

---

(١) سورة القصص آية : ٨٠

(٢) سورة القصص آية : ٨٢.

(٣) سورة المائدة آية : ٦٣ .

" الناس أحوج إلى الطعام والشراب ، لأن الطعام والشراب يحتاج إليه فى اليوم مرتين أو ثلاثا ، والعلم يحتاج إليه فى كل وقت "[١].

فما ظنكم – رحمكم الله – بطريق فيه آفات كثيرة ، ويحتاج الناس إلى سلوكه فى ليلة ظلماء ، فإن لم يكن فيه ضياء وإلا تحيروا ، فقيض الله لهم فيه مصابيح تضئ لهم فسلكوه على السلامة و العافية ، ثم جاءت طبقات من الناس ، لابد لهم من السلوك فيه فسلكوا ، فبينما هم كذلك إذ طفئت المصابيح ، فبقوا فى الظلمة ، فما ظنكم بهم ؟

هكذا العلماء فى الناس ، لا يعلم كثير من الناس كيف آداء الفرائض ، ولا كيف اجتناب المحارم ، ولا كيف يعبد الله فى جميع ما يعبده به خلقه إلا ببقاء العلماء ، فإذا مات العلماء تحير الناس ، ودرس العلم بموتهم ، وظهر الجهل[٢].

ولولا العلم لفسد عمل الناس .

قال الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز رحمه الله " من عمل فى غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح [٣]

ولقد ضرب إمام الدعاة نبينا محمد ﷺ المثل للعلماء بالنجوم فعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " إنما مثل العلماء فى الأرض كمثل النجوم فى السماء يهتدى بها فى ظلمات البر والبحر ، فإذا انطمست النجوم أوشك أن تضل الهداة"[٤].

فقد شبه النبى ﷺ فى هذا الحديث العلماء بالنجوم لها فوائد ، ذكر الله عز وجل منها فى القرآن الكريم ثلاثا هي :

- الفائدة الأولى : أنها علامات للناس يهتدون بها فى الظلمات ، يقول الله تعالى " وعلامات وبالنجم هم يهتدون "[٤].
- الفائدة الثانية: انها زينة السماء يقول الله تعالى: " ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح "[٥].
- الفائدة الثالثة : انها رجوم للشياطين الذين يسترقون السمع ، يقول الله تعالى " وجعلناها رجوما للشياطين "[٦] . والعلماء ، تجتمع فيهم هذه الأوصاف فهم :

---

(١) ذكره ابن القيم في إعلام الموقعين جـ ٢ صـ ٢٥٦ .

(٢) قواعد في التعامل مع العلماء صـ ٦٠ .

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده جـ ٣ صـ ١٥٧.

(٤) سورة النحل آية : ١٦.

(٥) سورة الملك آية : ٥ .

(٦) سورة الملك آية : ٥ .

- الهداة الذين يهتدى بهم الناس فى الظلمات حيث يشتبه الحق بالباطل .
- وهم زينة هذه الأرض .
- وهم رجوم للشياطين الذين يخلطون الحق بالباطل ويدخلون فى الدين ماليس فيه من أهل البدع والأهواء الضلالات .
- إن مثل الدعاة إلى الله كمثل الماء والغيث ، انتفاع النس بهما دائم ومستمر قال ميمون مهران : " إن مثل العالم فى البلد كمثل عين عذبة فى البلد " [1] .
- وقال بعض الحكماء : " مثل العلماء ، مثل الماء حيثما سقطوا نفعوا "[2].
- وليس للناس عوض ألبتة عن الدعاة إلى الله ، إلا أن يكون لهم عوض عن الشمس والعافية ، قال عبدالله بن أحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى : قلت لأبي : أى رجل كان الشافعي فإني سمعتك تكثر من الدعاء له ، قال " يا بني ، كان كالشمس للدنيا ، وكالعافية للناس ، فهل لهذين من خلف أو منهما من عوض "[3] .
- وهكذا فإن حاجة الناس إلى الدعاة كحاجتهم إلى الشمس وإلى العافية ، فلا يمكن الاستغناء عنهم ما دامت الحياة .

الدليل الثامن : أن نجاة الناس منوطة بوجود العلماء ، فإن يقبض العلماء يهلكوا عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

- " إن الله لا يقبض العلماء انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم يقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالم، اتخذ الناس رؤوسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا"[4].
- ضلوا بافتاء الناس بالباطل ، وقولهم على الله عز وجل بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير .
- وأضلوا الناس الذين اتبعوهم ، وحينذاك يهلك الجميع .

---

(١) جامع بيان العلم وفضله جـ ١ صـ ٥٤ .

(٢) المرجع السابق جـ ١ صـ ٦٠ .

(٣) ذكره الذهبي في سير اعلام جـ ١ صـ ٤٥

(٤) رواه البخاري في صحيحه –كتاب العلم باب كيف يقبض العلم جـ ١ صـ ١٧٤–١٧٥ ورواه مسلم كتاب العلم باب رفع العلم وقبضه جـ ٤ صـ ٢٠٥٨ جـ ٢٦٧٣ واللفظ لمسلم .

- وليس يغنى عن العلماء وجود الكتب حتى لو كانت الكتب السماوية ، إذ لو أغنت تلك الكتب عن قوم لأغنت عن بني اسرائيل الذين انحرفوا فكانوا ضربين من الانحراف.
- فمنهم من أعرض عن أوامر الله عز وجل عن علم فكانوا مغضوبا عليهم ، فأولئك هم اليهود .
- ومنهم من عبد الله على جهل فكانوا ضالين ، فأولئك هم النصارى .

وكل أولئك كانوا أهل كتاب فلليهود (التوراة) وللنصارى (الأنجيل) فلم يغن عنهم وجود هذه الكتب شيئا لما لم يكن هناك حملة لهما صادقين فى حمل العلم .

- وكذلك هذه الأمة لن يغنى عنها وجود القرآن إذا لم يكن ثمت علماء يحملون العمل ، فعن أبي أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
- " خذوا العلم قبل أن يذهب ، قالوا : وكيف يذهب العلم يا نبي الله وفينا كتاب الله قال : فغضب ، ثم قال : تكلتكم أمهاتكم أو لم تكن التوراة والإنجيل فى بني إسرائيل فلم يغنيا عنهم شيئا ، إن ذهاب العلم أن يذهب حملته "[1].
- وعن أبي الدرداء رضى الله عنه قال : كنا مع النبي ﷺ ، فشخص ببصره إلى السماء ثم قال : هذا أوان يختلس العلم من الناس حتى لا يقدروا منه على شئ ، فقال زياد بن لبيد الأنصاري : كيف يختلس منا وقد قرأنا القرآن ؟ فو الله لنقر أنه ولنقرئنه أبناءنا ونساءنا ، فقال رسول الله ﷺ :
- تكلتك أمك زياد ، إني كنت لأعدك من فقهاء أهل المدينة هذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى فماذا تغني عنهم ؟ [2]
- فذهاب العلم إذن ، إنما هو بذهاب العلماء فعن عبدالله بن عباس رضى الله عنهما قال أتدرون ما ذهاب العلم ، قلنا لا ، قال : ذهاب العلماء[3].
- وذهاب العلماء معناه : هلاك الناس ، فعن أبي جندب رحمه الله قال : سألت سعيد بن جبير ، قلت : يا أبا عبدالله ، ما علامة هلاك الناس ؟ قال " إذا هلك علماؤهم [4] .

---

(١) رواه الإمام أحمد جـ ٥ صـ ٢٦٦ ، والدرامي جـ ١ صـ ٦٨ المقدمة .

(٢) رواه الترمذي في سننه جـ ٤ صـ ١٤٠ وقال : هذا حديث حسن غريب .

(٣) رواه الدارمي في السنن جـ ١ صـ ٦٨ المقدمة .

(٤) رواه الدارمي في السنن جـ ١ صـ ٦٨ المقدمة .

وقال عبدا لله بن عباس رضى الله عنهما :

- " لا يزال عالم يموت ، وأثر للحق يدرس ، حتى يكثر أهل الجهل ، وقد ذهب أهل العلم فيعملون بالجهل ، ويدينون بغير الحق ، ويضلون عن سواء السبيل "[1].
- إذن : فإن نجاة الناس وسعادتهم فى الدنيا والآخرة منوطة بوجود الدعاة إلى الله تعالى ، فإذا مات الدعاة هلك الناس وشقوا فى دنياهم وأخراهم .
- وعلى هذا تظهر مكانة الدعاة إلى الله تعالى فى الإسلام وعلى الناس أن يعرفوا قدرهم ، وأن يرفعوا من مكانتهم وذلك من السنة ، قال طأووس بن كيسان رحمه الله تعالى " من السنة أن يوقر أربعة : العالم ، وذو الشيبة ، والسلطان والوالد " [2] .

المبحث الثاني: طبيعة العلاقة السوية بين الدعاة والمدعوين

أولاً : أصل هذه العلاقة :-[3]

- أصل هذه العلاقة هو حاجة الناس إلى العلم ، والعلم إمام العمل ، والعمل تابع له [4] ، وهذا الفهم الدقيق لمنزلة العلم هو الذي جعل الإمام البخاري رحمه الله يقول : باب العلم قبل القول والعمل[5].
- وهذا يدل دلالة واضحة على أن رتبة العلم متقدمة على رتبة العمل ، إذا العلم شرط فى صحة القول والعمل ، فلا وزن لهما من غيره ، ولا يعتبران إلا به ، وهو مصحح للنية المصححة للعمل[6].
- فالمهتدون من الناس يريدون أن تصح عبادتهم لتقبل عند الله ، ولا سبيل إلى ذلك خارج نطاق العلم ، لأنه هو الذي تحصل به الهداية إلى الصراط المستقيم ، ويتبين به طريق أهل النعيم من طريق أهل الجحيم ، ومن ثَمّ كان معلم الناس الخير هو من يستغفر له كل شئ حتى الحوت فى الماء والطير فى الهواء بسعيه فى مصلحة الخلق واصلاح دينهم ودنياهم .

---

(١) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله جـ١ صـ ١٥٥.

(٢) ذكره البغوي في " شرح السنة " جـ ١٣ صـ ٤٣ .

(٣) انظر من قضايا الرأي العام : د / سيد ساداتي صـ ٤٠ ومابعدها .

(٤) انظر الحسبة في الماضي والحاضر بين ثبات الأهداف وتطور الأسلوب جـ ١ صـ ٩٧ .

(٥) البخاري جـ ١ صـ ١٥٩ .

(٦) فتح الباري جـ ١ صـ ١٦٠ .

- وعلى هذا فعماد الناس على العلماء فى الفقه والعلم ، وأمور الدين والدنيا ، وعلى أقوالهم تدور الفتيابين الأنام ، حيث خصوا باستنباط الأحكام ، عنوا بضبط قواعد الحلال والحرام ، وهم أئمة الدين وورثة الأنبياء ورثوا عنهم العلم ، حملوه فى صدورهم، واصطبغت به أعمالهم ، فكانوا بذلك هداة الناس ودعاتهم إلى الخير ، واستحقوا أن يكونوا رأس الجماعة ، قال ابن مسعود رضى الله عنه : المتقون سادة والعلماء قادة[1].
- ذلك لأن العلماء بشرع الله ، هم الذين تُقِرْ لَهُم الأمة بالأمانة فى الدين والعلم والاهتداء ، وهم حراس دين الله بالعلم والهدى والعمل والذب عنه والذود عن حياضه[2].
- وهذه الدرجة فى الدين هي التى بوأت العلماء مكان الصدارة فى حياة الناس ، وحددت معالم العلاقة السوية بينهم ، فهم هداة مهتدون ، وأدلاء للناس على أحكام الله " فهم عطر المجتمع وماؤه ، ورواؤه وبهم فخره ، واعتزازه ، وعلى مقدار وفرهم وسموهم يكون عزه وفخاره وصلاحه "[3].
- ذلك أن الإيمان الصحيح ، والعمل الصالح هو قوام النجاح فى الدنيا والآخرة ، وسبيل ذلك هو العلم ، وطريقه العلماء يقول الامام الشافعي رحمه الله :
- فإن ما أدرك علم أحكام الله فى كتابه نصأو استدلالا، ووفقه الله للقول والعمل بما علم فيه فاز بالفضيلة فى دينه ودنياه وانتفت عنه الريب ، ونورت فى قلبه الحكمة ، واستوجب فى الدين موضع الإمامة[4].
- وهذه العلاقة هي التى ينبغي أن تكون بين الدعاة والمدعويين ، وهي ترتب على الناس موالاة العلماء ومحبيهم واحترامهم وتقديرهم ، والأخذ عنهم والسعي إليهم ، والثقة بهم، والرجوع إليهم ، والصدور عن رأيهم ، والاستجابة لهم ، وحسن الأدب معهم والاشادة بفضلهم ، وحماية أعراضهم ، والذب عنهم ، وإحسان الصلة بهم ، والتلقى عنهم[5].

---

(١) النكت والعيون جـ ٤ صـ ٤٧١.

(٢) امن قضايا الحوة صـ ٥١ .

(٣) انظر مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي د / عبد الكريم بكار – دار المسلم بالرياض – الطبعة الأولي – عام ١٤١٧هـ صـ ٣٧٩.

(٤) الرسالة صـ ١٩ .

(٥) انظر قواعد التعامل مع العلماء صـ ١٢-١٣ .

- واحترام العلماء مستكن فى النفوس حتى عند غير المسلمين حيث كشفت دراسة الدكتور / عبدالله اللحيدان أن نسبة ٨٠ % من غير المسلمين فى عينة بحثه يرون احترام علماء الدين ، فكيف بالمسلمين[١].؟
- وما ذلك إلا انهم أداة صلاح لكافة الناس ، فالناس بلا علماء فى جهالة عمياء ، تعصف بهم رياح الباطل ، فإذا غابوا تسود الفوضى ، وتعظم الفتن ، وتحل المصائب ، فمن كان منهم إخلاصه لله أكبر ، عظم شأنه عند الناس ، وحرصوا على بقائه بينهم ، وهابه ذوو السلطان ، فوجودهم بالغ الأهمية فى حياة الناس يعلمونهم دينهم ، ويحرضونهم على التمسك بالأخلاق ، ويدفعون الناس إلى تطبيق شرع الله ، ولا يسمحون بالزيغ عنه ، فالحمد لله الذي جعل من يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، وينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، فما أحسن أثرهم على الناس[٢].

ثانياً : كيف كانت هذه العلاقة من ذى قبل : –

- إن المتتبع لعلاقة الدعاة بالمدعوين من ذي قبل ، يجد انها علاقة سوية ، حيث إن الناس كانوا يحترموا العلماء احتراما يفوق كل احترام ، بل إن احترام الدعاة كان يفوق احترام الأمراء والسلاطين مثل الحسن البصري رحمه الله كان أهل البصرة يحترمونه ويقدرونه ويجلونه حتى جعلوه سيدهم ، قال اعرابي لأهل البصرة من سيدكم ؟ قالوا : الحسن .

  قال : بم سادكم ؟ قالوا : احتاج الناس إلى علمه ، واستغنى هو عن دينارهم

  فقال : ما أحسن هذا[٣].
- ومثل الأئمة الأربعة: أبو حنيفة ومالك ، والشافعي ، وابن حنبل ، والعز بن عبدالسلام، وغيرهم كثير ، وكذلك مشايخ جامع الأزهر مثل الشيخ / احمد الدمنهورى والشيخ / الشرقاوي والشيخ / السادات والشيخ / المراغي كانوا يتمتعون بمركز مرموق فى

(١) انظر دعوة غير المسلمين في مدينة الرياض رسالة دكتوراه مقدمه لكلية الدعوة والإعلام بالرياض عام ١٤١٧هـ جـ ٢ صـ ٥١٠ .

(٢) انظر مناهج العلماء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فاروق عبد المجيد السامرائي مكتبة دار الوفاء بجدة صـ ١٨٩.

(٣) هداية المرشدين إلي طرق الوعظ والخطابة للشيخ علي محفوظ – دار الاعتصام – الطبعة التاسعة عام : ١٣٩٩ هـ صـ ٩٧.

المجتمع لدى الحكام والمحكومين على السواء ، بل إن بعض الحكام كان يعلن توبته أمام العلماء ، ويعاهد الله امامهم على العدل[١].

- يقول الدكتور / مالك رشوان : ونظراً لكون وجدان الناس كان فى ذلك الوقت وجدانا دينيا ، فإن المشايخ وهم رجال الدين قد تمتعوا بمكانة مميزة ، إذ ربطتهم عاطفة العقيدة والدين بأفراد المجتمع ، ونظراً لأن الأزهر موطن العلم والعلماء — فى ذلك الوقت — فقد كان العلماء يشعرون بِمَالَهُمْ مِنْ عِزّة ومكانة بقدر ما فى نفوس الناس من العاطفة الدينية ، وقد نظر الناس إلى المشايخ على أنهم حماة الشرع ، والعدل ، والرقباء على صلاح الحكم وتوجيه الحاكم وكبح جماح من يشتط أو ينحرف ، وترجع خشية الحكام للمشايخ لهذه الأسباب وبخاصة إذا اجتمعت كلمتهم مع الشعب على رأى واحد[٢].

وما ذلك إلا لأن العلماء بعلمهم الزكي ، وفكرهم الثاقب المواكب لحركة الحياة ، وتطورات التاريخ قد فهموا رسالتهم على الوجه الصحيح وأدوا أمانة الله عندهم [٣] ، وقاموا بواجباتهم الأساسية فى الحياة مثل :

١-البلاغ بالبيان القائم على العلم والقدوة باجتماع معظم صفات الكمال البشري فيهم

٢-نشر العلم الصحيح بتعليم الناس بالطرق المختلفة وتفرغ كثير منهم لتعليم الناس الخير .

٣- تصحيح تصور الناس عن أنفسهم والكون الذي يحيط بهم وأفصحوا لهم عن حقيقة العلاقة بين الخالق والمخلوق وهيأوهم لعبادة الله وحده .

٤- كانوا الأدوات الحقيقية فى تمكين الأمة من الاستفادة من الماضي فى إحسان الحاضر ، واستشراف آفاق المستقبل من خلال التبصير والإبداع .

٥- أحيوا منهج الصحابة رضوان الله عليهم فى تعليم القرآن وحثوا الناس على التأسي بهم فى التعامل مع كتاب الله من حيث إحسان التلاوة والتدبر والسعي للفهم الصحيح ، ثم التطبيق الدقيق الأمين فرسخوا بذلك التلاحم بين النظرية والتطبيق.[٤]

---

(١) تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر — عبد الرحمن الرافعي — دار المعارف — الطبعة الخامسة عام ١٤٠١ هـ ١٩١٨م. جـ ١ صـ ٦٠ .

(٢) علماء الأزهر بين بونابرت ومحمد علي — مطبعة الأمانة — الطبعة الأولي ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.صـ ١٤.

(٣) انظر أثر العلم في تصحيح الحياة د/ صالح غانم السدلان ص١٣ وانظر قضايا الرأي العام صـ ٥١ -٥٢ .

(٤) انظر المرجع السابق .

٦- وليس هذا فحسب ، بل إنهم اتبعوا أساليب مختلفة إحسان علاقتهم بالمدعوين، تمثلت فى مخالطة الناس والتواضع لهم ، والسؤال عليهم وعلى أهليهم ، ومن ثم نالوا حبهم وثقتهم ، فكانوا بذلك قادتهم فى الإصلاح ،وسلامة الدين وصلاح الدنيا .

ثالثاً : واقع العلاقة بين الدعاة والمدعوين فى الوقت الحاضر :-

٧- إن من يدقق النظر فى حياة المسلمين اليوم وبشئ من التأمل والعمق ، يدرك فى جلاء أن علاقة المدعوين بالدعاة لم تكن عل الصورة التى كانت عليها من ذي قبل .

٨- وليس ذلك من باب المبالغة ولا المجازفة ، ولكنه الواقع الذي لا يخفى على ذي لب وذي عين ، فلم يعد الاحترام والتقدير ، واعتبار أقوال العلماء كما كان أيام السلف ، بل ساد فى حياة الناس إعراض عن الدعاة وسوء الظن بهم ، والطعن فيهم يقول الشيخ صالح الفوزان " ولا سيما واننا نسمع فى زماننا هذا من يتكلم فى اعراض العلماء ، ويتهمهم بالغبأوة والجهل ، وعدم إدراك الأمور ، وعدم فقه الواقع كما يقولون ، وهذا أمر خطير "[1].

٩- وتفاقم الخلل فى هذه العلاقة ، واتسعت الفجوة بين الدعاة والمدعويين ، فما هي الأسباب والدوافع التى أدت إلى هذه الفجوة ، هذا ما سنوضحه فى الفصل التالى .

(١) وجوب التثبيت في الأخبار واحترام العلماء للشيخ / صالح الفوزان –دار أمام الدعوة للنشر بالرياض – الطبعة الأولي عام ١٤١٣هـ ص ٤٥ .

الفصل الثاني
أسباب الفجوة بين الدعاة والمدعوين

١ــ قلت – آنفا – إن علاقة الدعاة والمدعوين اليوم لم تكن على الصورة السوية كما كانت من ذي قبل ، فما الأسباب والدواعي التى أدت إلى الفجوة بينهما اليوم؟

٢ــ إن المتأمل فى هذا بتعقل وهدوء وإتزان يجد أن هناك أسبابا كثيرة ومتشعبة أدت إلى وجود هذا الخلل وتلك الفجوة بين الدعاة والمدعوين فمنها ، أسباب خاصة بالدعاة ، ومنها أسباب خاصة بالمدعوين ، وأسباب أخرى خارجة عنهما ، ومن ثم فإن هذا الفصل جاء فى أربعة مباحث :-

المبحث الأول : أسباب الفجوة الخاصة بالدعاة .

المبحث الثاني : أسباب الفجوة الخاصة بالمدعوين .

المبحث الثالث : أسباب الفجوة الخارجة عنهما .

المبحث الرابع : الآثار المترتبة على اختلال علاقة الدعاة والمدعويين

المبحث الأول : أسباب الفجوة الخاصة بالدعاة

لاشك أن هناك أسبابا كثيرة خاصة بالدعاة أنفسهم كان لها دور كبير فى وجود الفجوة بينهم وبين المدعوين نذكر بعضها على سبيل المثال لا الحصر :-

١ــ عدم مواكبة كثير من الدعاة ظروف العصر وأحواله ،ومن ثم حدث قصور منهم فى الإسهام فى حل مشكلات الحياة المتجددة المتنوعة ، التى تتطلب إدراكاً حقيقياً لها ، وسعياً حثيثا للتخفيف من وطأتها على الناس ، وخاصة الذين يرغبون فى أن تكون حركتهم فى جوانب الحياة المختلفة ، مؤسسة على حكم الله رغبة فيما عند الله ، وخوفا من بطشة ونكالة ، حيث كثرت فى الحياة مستجدات كثيرة تحتاج إلى اجتهادات علمائنا الأجلاء لتكييف مواقف الناس منها تكييفا شرعيا ، استجابة

لتطلعات الناس للحلول الشرعية المثلى لتلك المشكلات ، ونزعا للقيادة من أولئك الذين قلت بضاعتهم فى العلم الشرعي ،ومع ذلك يتصدون لتقديم حلول لتلك المشكلات مما قد يكون فتنة للناس [1]

٢-إن كثيراً من الدعاة يتحدثون فى موضوعات بعيدة عن حياة المدعوين ، وقد لا يفيدهم من قريب أو من بعيد أو يدور فى كثير من الأحيان – فى محيط ضيق كالحديث عن الزهد فى الدنيا دون أن يشير إلى التحبب فيها لأنها مزرعة للآخرة ، أو الحديث عن عذاب القبر ويوم القيامة فحسب دون أن يتناول موضوعات سياسية وإقتصادية وإجتماعية تحدث عنها الاسلام بصورة طيبة مرضية ، فعدم تناولهم لهذه الموضوعات وربطها بالواقع ، جعل الجمهور ينفر منه ، ويمل سماعه [2].

٣- إن كثيراً من الدعاة فى العصر الحاضر على مختلف مستوياتهم أصيبوا بالمهلكات الثلاث أو قلْ بعضها ، التى لا يجدي معها موعظة ولا إرشاد ، وتعد من أخطر الأمراض الجماعية والاجتماعية ومن هذه المهلكات الثلاث حب الدنيا يقول الأستاذ / فتحي يكن : " فكثير ما كنا نجد فى حياة الدعوة خطباء مفوهين ، ودعاة لا معين ، وهم أحرص الناس على حياة .

يا واعظ الناس قد أصبحت متهما ... إذ عبت منهم أمورا أنت تأتيها

أصبحت تنصحهم بالوعظ مجتهدا ... والموبقات لعمرى أنت جانيها

تعيب دنيا وناسا راغبين لها ... وأنت أكثر الناس رغبة فيها

وقد نرى أفراداً مخلصين ، وإخوانا مندفعين لا تكاد أيديهم تصل إلى شئ من متع الحياة صاغرين ... كثيرون هم الذين حلقوا فى آفاق الدعوة ، وبلغوا منازل القيادة ، ثم سقطوا على الأرض صرعى المغريات والمفاتن ، ورضوا بالحياة الدنيا من الآخرة [3].

أيضا ومن المهلكات التى وقع فيها بعض الدعاة البخل الشديد ، حتى أصبح سمة عند الناس يصفون المشايخ بأنهم يحبون أن يطعموا عند الناس ولا يطعمون أحدا ، وبالطبع

---

(١) انظر الرأي العام في ضوء الإسلام د / سيد محمد ساداتي الشنقطي – دار عالم الكتب بالرياض – الطبعة الأولي عام ١٤١٠هـ صـ ١٨٦ وأنظر: التصفية والتربية وأثرها في استئناف الحياة الإسلامية – علي حسن عبد الحميد – دار التوحيد الطبعة الثانية عام ١٤١٤هـ ص٨٨-٨٩.

(٢) الخطابة الدينية بين المنهج والواقع – دراسة مقارنة – للمؤلف مطبعة دار الهلال بأسيوط الطبعة الأولي عام ١٤١٤ هـ ١٩٩٤م. صـ ٣٧.

(٣) مشكلات الدعوة والداعية – فتحي يكن – مؤسسة الرسالة – الطبعة السادسة عشر عام ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م. صـ ٥٨

فإن هذه السمة فيها ظلم لأهل العلم ، فإن الغالبية العظمى هم أهل الكرم والجود ، وأهل البذل والعطاء والتاريخ شاهد على ذلك ولكن – كما يقولون لكل قاعدة شواذ – فإن أقل القليل منهم من يتصف بهذه الصفة فهم كغيرهم من سائر البشر فيهم البخيل وفيهم الكريم .

ومن المهلكات أيضا الإعجاب بالرأي ، والهوى المتبع ولذلك نجد النبي ﷺ حذر من هذه المهلكات بأساليب وطرق متعددة منها قوله ﷺ " .. حتى إذا رأيت شحا مطاعا ، وهوى متبعا ، ودنيا مؤثرة ، وإعجاب كل ذي رأى برأيه ، فعليك بخاصة نفسك ، ودع العوام ... "[1]

٤–كثرة الاختلاف بين الدعاة ، وهجوم بعضهم على بعض والتقليل من مكانة البعض أو التشكيك فى بعض ، والانتصار لبعض دون البعض الآخر لا ، لأجل الحق ، وإنما فى كثير من الأحيان تحيزا وتعصبا ، وما لوحظ مؤخرا من اختلاف حول قضايا البنوك وذرع الأعضاء وغيرها ، وادى هذا إلى سب وشتم على صفحات الجرائد والمجلات وغيرها وبالتالى أدى هذا النوع من الحيرة فى صفوف العامة ، وساهم فى القطيعة بين الدعاة والمدعوين .

٥– ومن الأسباب التى أدت إلى الفجوة بين الدعاة والمدعوين : الجانب المادى فى الحياة كانشغال الدعاة بتحسين مستواهم المادى كغيرهم من الناس ، وغرقوا فيها ، حتى أنهم نسوا رسالتهم الأساسية وهى الدعوة إلى الله تعالى وتهاونوا فى حق العلم ، وأصبحوا من جنس ما أشار إليه شيخ الاسلام ابن قيم الجوزية ، حيث يقول :

" ومن خبر ما بعث الله به رسوله ﷺ ، وما كان عليه هو وأصحابه رأى أن اكثر من يشار إليهم بالدين هم أقل الناس دينا ، والله المستعان ، وأى دين ، وأى خير فيمن يرى محارم الله تنتهك ، وحدوده تضاع ، ودينه يترك وسنة رسول الله ﷺ يرغب عنها ، وهو بارد القلب ، ساكت اللسان ، شيطان أخرس كما ان المتكلم بالباطل شيطان ناطق ، وهل بلية الدين إلا من هؤلاء الذين إذا سلمت لهم مأكلهم ورياستهم فلا مبالاة بما جرى على الدين ، وخيارهم المتحزن ، ولو نوزع فى بعض ما فيه غضاضة عليه فى جاهه أو ماله بذل وتبذل ، وجد واجتهد ، واستعمل مراتب الإنكار الثلاثة بحسب وسعه ، وهؤلاء مع سقوطهم من عين الله ،

(١) رواه الترمذي وقال عنه : حديث غريب .

ومقت الله لهم قد بلوا فى الدنيا بأعظم بلية تكون وهم لا يشعرون ، وهي موت القلب ، فإن القلب كلما كانت حياته أتم كان غضبه له ورسوله أقوى ، وانتصاره للدين أكمل " [1]

وهذه الفئة الموصوفة بالعلم – مع قلتها – لا يزال يرى بعض الناس وجودها ، ويشعر بخطورتها وشدة صلتها بالظاهرة المبحوثة ، يقول الأستاذ / احمد عز الدين البيانونى :

في الأمة صنف آخر من العلماء ، وصفهم وصف العلم وعملهم عمل الجاهلين ، ضعفوا أمام المغريات من مال ومنصب وجاه ، ومالت نفوسهم مع الشهوات ، وتعلقت بها قلوبهم ، فطلبوها من حلال وحرام ، واستحكمت الغفلة منهم ، فنسوا كثيرا مما عرفوا ، وتنكبوا سبيل الاستقامة ، وانحرفوا عن سنن التقوى والورع ، فهلكوا مع الهالكين [2]

هذا ما يحدث من فئة ممن ينتسبون إلى أهل العلم ، وهي قليلة – كما قلت – ولكنها موجودة على الساحة على الرغم من تحذير النبي ﷺ من التنافس على الدنيا ، حيث يقول : " والله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكني أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها ، فتهلككم كما أهلكتهم "[3].

٦ــ ومن الأسباب الخاصة بالدعاة : عدم اهتمام الدعاة بمصالح الناس ، وعدم الحرص على التصدر ، إما مجازاة للناس على رغبتهم عن الدعاة ، أو غير ذلك من الأسباب التى جعلت البعض ينفصل عن هموم الناس ، ولا يشغل باله كثيراً بمتابعتها ، مع أن التأسي برسول الله ﷺ يفرض عليهم مسلكا مغايرا لهذا ، حيث كان ﷺ فى غاية الحرص على الاهتمام بمصالح الناس ، ويأتي فى مقدمة ، ذلك ، حرص النبي ﷺ على هدايتهم ، رحمة بهم وشفقة عليهم قال تعالى : لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم [4]. وقال تعالى : " إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل ومالهم من ناصرين " [5]

٧ــ ضعف المستوى العلمى لبعض الدعاة – بخاصة فى هذه الأيام – ويرجع ذلك إما بسبب عدم الإخلاص فى طلب العلم أصلا ، والانشغال بأمور أخرى ، أو ضعف الإمكانات

---

(١) اعلام الموقعين ٢/١٥٥ – ١٥٦ .

(٢) الدعوة إلي الإسلام وأركانه صـ ٩٤ وانظر من قضايا الرأي العام صـ ٧٦ .

(٣) رواه البخاري ومسلم .

(٤) سورة التوبة : آية : ١٢٨. .

(٥) سورة النحل آية : ٣٧ . .

الذاتية لديهم ، أو قصور فى السعى لطلب العلم أو غير ذلك من الأسباب التى أدت إلى ضعف المستوى العلمي والفكري والثقافي .

وهذا واضح وظاهر من خلال خطبهم التى يلقونها على المدعوين ، فمثلا نلاحظ أكثر الدعاة اليوم لا يلتزمون بوحدة الموضوع ، بل يتحدثون فى الخطبة الواحدة فى أكثر من موضوع ، وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على الإفلاس العلمي ، ومنهم من يكرر الموضوعات حسب المناسبات ، ولا يحأول أن يتعب نفسه فى إعداد موضوعات تكون معايشة لواقع الناس وملائمة للزمن الذي يعيشون فيه ، مثل هؤلاء ملّه المستمعون ، وذهبوا يبحثون عن غيره علّهم يجدوا عنده ما ينشدونه[1].

٨- قلة الوعي فى صفوف كثير من الدعاة ، وغفلتهم عن واقع الدعوة ، والظروف المحيطة بها من جهة ، وعدم بصيرتهم بطبيعة أعدائهم ، وأساليب مكرهم وخداعهم من جهة أخرى ، مما جعل كثيراً منهم تحركهم العواطف ، وتخدعهم الشعارات ، ويقفون مواقف شتى ، تجرهم فى كثير من الحالات إلى الندم والتلأوم [2].

٩- من الأسباب أيضا أن بعض الدعاة لا يعتنون بنظافة أبدانهم ولا نظافة ثيابهم إما بخلاً وإما بدعوى أن ذلك من الزهد والتواضع ، فتراهم يغشون المساجد والأماكن العامة وروائحهم كريهة تؤذى من يجالسهم أو من يحدثهم فينفروا منهم ، ويكرهوا مجالستهم والحديث معهم . ولا غرو فإن عدم اعتناء بعض الدعاة بنظافة أجسادهم وثيابهم كان سببا قويا فى ايجاد القطيعة والفجوة بين الدعاة .

هذه – جل – الأسباب الخاصة بالدعاة أو التى تعود على الدعاة ، والتى أدت إلى ايجاد فجوة بينهم وبين مدعويهم ، وفى المبحث الثاني سوف نذكر الأسباب الخاصة بالمدعوين، والتى كانت سببا – أيضا – فى ايجاد ظاهرة الفجوة بينهم وبين الدعاة .

---

(١) انظر الخطابة الدينية بين المنهج والواقع صـ ٢٨-٢٩ بتصرف .

(٢) المدخل إلي علم الدعوة د / محمد أبو الفتوح البيانوني مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الثانية عام ١٤١٤هـ صـ ٣٥٥- ٣٥٦.

المبحث الثاني : أسباب الفجوة الخاصة بالمدعوين :

وضحت فى المبحث السابق بعض أسباب الفجوة الخاصة بالدعاة فإننا أيضا بالبحث والتدقيق وجدنا – من الواقع الحالى – أسبابا كثيرة تعود على المدعوين فى ايجاد ظاهرة القطيعة بينهم وبين الدعاة نذكر منها ما يلي :-

١- عدم إدراك الناس لمكانة العلماء فى الحياة مما أدى إلى سوء معاملتهم ، إما بعدم تقديرهم واحترامهم كما ينبغي ، أو بعدم اعتبار أقوالهم ، وانزالها المنزلة اللائقة ، بما من حيث أهميتها فى بيان حكم الله ، وإما بنقض العدل فى الحكم عليهم حيث تصدر عنهم أخطاء فى الوقت الذي كان فيه السلف يثيرون الدهشة وينتزعون الإعجاب فى حسن تعاملهم مع العلماء [١]

بل إن عدم إدراك مكانة العلماء فى الحياة أدى ببعض الناس إلى تجاوز الاعراض عن العلماء إلى الطعن فيهم ، وسوء الظن ومنأوأهم ، وتحقيرهم عياذا بالله ، وهم لا يدركون فداحة الخطأ الذي يرتكبونه وقبحه وشناعته ، وإضراره بالدين نفسه فمعارضة الناس بهذه الصورة المنكرة وتنفيرهم للناس عنهم ، وإفساد ظنهم فيهم ، والسعي لإفساد العلاقة بينهم وبين الناس يؤدي إلى وبال عظيم حيث يفسد دين الناس [٢].

ومن سلك طريق الاعتدال عظم من يستحق التعظيم وأحبه ووالاه ، وأعطى الحق حقه ، فيعظم الحق ويرحم الخلق ، ويعلم أن الرجل الواحد تكون له حسنات وسيئات فيحمد ويذم ، ويثاب ويعاقب ، ويحب من وجه ويبغض من وجه ، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة [٣] .

ولعمرو الله إن هذا لهو الإنصاف الذي يجعل مسلك الذين يؤذون العلماء فى أنفسهم وفى أعراضهم ، ويجعلون من مجالسهم الخاصة والعامة فرصا للتندر بالعلماء – مع أن لحوم العلماء مسمومة – مسلكا غريبا على أمة الإسلام التى تعلم علم اليقين أن الله حرم الغيبة عامة ، فكيف بغيبة العلماء [٤] ومع ذلك فإن إعراض العلماء والدعاة أصبحت عند بعض الناس كلاً

---

(١) انظر قواعد في التعامل مع العلماء صـ ٩-١٠ .

(٢) انظر فضائل الدعوة إلي الخير والتبليغ لدين الله الشيخ / محمد يحيي الكاهلوي دار عمار بعمان ط١ عام: ١٤١٢هـ صـ ٦٥ .

(٣) منهاج السنة لشيخ الاسلام ابن تيمية جـ ٤ صـ ٥٣ – ٥٤٤.

(٤) انظر من قضايا الرأي العام صـ ٨٤ .

مباحا يقع فيه متى شاء ، وكيف يشاء ، ولست ادرى أى خير يبقى فى الأمة بعد علمائها ودعاتها؟ رحمه الله الامام / عبدالله بن مبارك إذ يقول : من استخف بالعلماء ذهبت آخرته ، ومن استخف بالأمراء ذهبت دنياه ، ومن استخف بالإخوان ذهبت مروءته)[1].

وما ذلك إلا لمكانة العلماء العالية فى دين الله تعالى ورحمه الله من قال :

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم ... على الهدى لمن استهدى أدلاء

وقدر كل امرئ ما كان يحسنه ... والجاهلون لأهل العلم أعداء

ففز بعلم تعش حيّا به أبدا ... الناس موتى وأهل العلم أحياء

وقد عرف أعداء الإسلام أن التقليل من مكانة العلماء والدعاة والنيل منهم المقصود به : هدم الدين الإسلامي والقضاء عليه ، لأن العلماء ، والدعاة ، هم الذين يدعون إليه ويبلغونه للناس ، ومن أجل القضاء عليه وجهوا أسهم الاتهام للدعاة ، وحرضوا الفسقة على ذيوعها وانتشارها ، والذين يشايعونهم ويسايرونهم فى هذا الاتجاه ، وإنما هم أدوات حقيقية لأولئك الأعداء ، فالطعن فى الدعاة والعلماء طعن فى الدين الذين يحملون رسالته ودعوة صريحة لعزل الدعاة عن الناس ، رد الله كيدهم فى نحورهم ، وحفظ على الأمة دينها بحفظ علمائها ودعاتها ، فما تجرأت أمة على علمائها إلا خشيت الفتنة والتمزق والهلاك ، وأصابتها المحن والنكبات .

فليس من الحكمة فى شئ نبش أخطاء الدعاة ، ولا تتبع سقطاتهم ، لما فى ذلك من آثار على علاقتهم بعامة الناس ، بل الحكمة كل الحكمة فى مناصحتهم بين المرء وبينهم ، وعلى الهيئة الشرعية ، ومن أهم النصحية لهم الاتصال بهم ، وإيضاح جوانب القصور أو العيوب التى ظهرت ، وتذكيرهم بالله وحثهم على الزهد المشروع ، والورع الصحيح وغير ذلك من الأمور التى تساعد على القيام بواجبهم تجاه دينهم وأمتهم [2].

وقد كان تعزير من ينال من أكابر علماء الأمة الإسلامية ودعاتها ، هو الأمر المعمول به باعتبار أن النيل منهم والطعن فيهم جريمة ، هدفها إضعاف ثقة الأمة بعلمائها ليضعف أخذها عنهم أو ينعدم ، وناهيك بهذا فسادا لذلك كان فرض احترام هؤلاء الأكابر من علماء الأمة وذوى الفضل منها محتما وتعزيز من يخل به أيضا محتما.

---

(١) نحو منهج شرعي في تلقي الأخبار وروايتها – أحمد بن عبد الله الصويان –دار النشر الدولي بالرياض – الطبعة الأولي عام ١٤١٤هـ صـ ١١٢-١١٣ .

(٢) النصيحة شروطها وضوابطها د / عبد العزيز الشعود –دار الوطن للنشر – الطبعة الأولي عام ١٤١٢هـ ٣٠-٣١ .

وقد عَذّر عمر بن الخطاب رضى الله عنه : رجلا نال من ابن مسعود رضـــى الله تطبيقا لمبدأ تجزير من تطأول على العلماء الكبار[1].

وما ذلك إلا ترسيخا لاعتبار العلماء الشرعيين الذين يفترض أن يكونوا موضـــع الاحترام والثقة ، حتى يمكنهم بمساعدة المتخصصين فى جوانب الحياة المختلفة إنزال وقـــائع الحياة اليومية على أحكام الشرع الحنيف باعتباره شرعا متكاملا ينتظم الحياة كلها[2].

٢- إن بعض الدعاة يحسنون الظن بكل الناس ، ومن الناس أهل البدع فيجالـــسونهم ولا ينكرون عليهم ، فجعل الناس يرمونهم بالجبن والضعف والتملق ، ولو أن الناس أنصفوا لراعوا طبيعة بعض الدعاة الذاتية حيث إن الداعية منهم قد يكون ذا طبيعة متسامحة ، نشأ وترعرع عليها منذ صغره فتراه يجالس كل الناس ، وكل المستويات حتى أصحاب البدع والأهواء ، وحقه أن يكفهر فى وجوه أهل البدع والأهواء ، ولكن بمجالسته لهم لا رضا بحالهم، بل لما هو عليه من التسامح الزائد عن حده ، فيظن الجاهل بحاله أن هذا الداعية بمجالسته لأهل البدع ومخالطتهم بأنه منهم وما هو منهم ، قال الواقدى رحمه الله عن أبي ذئب رحمه الله :

" ولد سنة ثمانين وكان من أورع الناس وأودعهم ورمى بالقدر ، وما كان قدريا ، لقد كان يتقى قولهم ويعيبه ، ولكنه كان رجلا كريما ، يجلس إليه كل أحد ويغشاه فلا يطرده ، ولا يقول له شيئاً ، وإن مرض عاده فكانوا يتهمونه بالقدر لهذا وشبهه

قال الامام الذهبي رحمه الله : كان حقه أن يكفهر فى وجوههم ، ولعله كان حسن الظن بالناس .

وهكذا حال الناس اليوم يجدون أى داعية يجالس أهل الأهواء والبدع وغيرهم من أصحاب الطرق الصوفية أو من أصحاب الجماعات الإسلامية أو من أصـــحاب الأخـــوان المسلمين أو من أصحاب التكفير والهجرة وغير ذلك ، والمعروف أن كل فرقة مـــن هـــذه الفرق ترمي الاخرى بالضلال والزيغ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

٣- ومن الأسباب التى أدت إلى انصراف الناس عن الدعاة إنشغال الناس بالدنيا وإقبـــالهم عليها كما يشهد بذلك واقع الناس ، حتى لم يعد لديهم متسع من الوقت للـــتفكير فى الذهاب إلى مجالس العلم والاستماع إلى العلماء والدعاة وهذه أدي إلى ضعف الوازع

(١) حديث الروح – محمد وذكاء قلعجي – دار الفكر بيروت – الطبعة الأولي صـــ ٣٣ .
(٢) انظر من قضايا الرأي العام صـــ ٨٦-٨٨بتصرف .

الديني عند كثير من الناس ، وعدم الالتزام بشرع الله مما أدى أيضا " إلى ظهور مخالفات شرعية كثيرة فى حياتهم ، ليس أقلها عدم سؤال أهل الذكر عند الحاجة ، بل التوجه إلى جهات غير مؤهلة للفتوى ، تحاول أن تقدم نفسها بديلا عن العلماء ، وأن تقوم مقامهم فى توجيه الناس ، وهي فى الحقيقة تضلهم وتغويهم "[1].

٤- ومن الأسباب أيضا : كون بعض الدعاة – فى ظنهم – انهم يتملقون الحكام ، ليعطوهم مالا ، وكان الأولى بالناس أن يلتمسوا لهم العذر ، لأنه قد لا يكون لبعض الدعاة مصدر رزق ، وعندهم أولاد كثيرون ، فبدلا من ان يسألوا الناس يأخذوا من الحكام ، قال بشر بن عبدالواحد :

رأيت أبا نعيم فى المنام ، فقلت : ما فعل الله بك ؟ يعنى أنه كان يأخذ على الحديث فقال: نظر القاضى فى أمرى فوجدني ذا عيال فعفا عني[2].

وقال الامام الذهبي رحمه الله : ثبت أنه كان يأخذ على الحديث شيئا قليلا لفقره[3].

وقال ابن خشرم : سمعت أبا نعيم يقول : يلومونني الأخذ – أى من الحاكم – وفى بيتى ثلاثة عشر نفسا ، وما فى بيتى رغيف ، قال الذهبي : لا موه على الأخذ يعنى من الإمام لا من الطلبة [4]

ولكن هذا الأمر لا يكون بالتملق والمداهنة ، ولا يكون أيضا إلا لضرورة قصوى ، فسؤال الحاكم أولى من سؤال عامة الناس ، ثم إن من الورع للدعاة ألا يكثروا من طريق أبواب الحكام ، فإن فى ذلك مهانة للعلم والعلماء وأى مهانة ، لأنه " فما أقبح بالعالم التذلل لأهل الدنيا " .

قال الفضيل بن عياض رحمه الله :

ما أقبح بالعالم يؤتى إلى بابه ، فيقال : أين العالم ؟ فيقال : عند القاضى ، وما للعالم وما للقاضى ؟ وما للعالم وما للأمير ؟ ينبغي للعالم أن يكون فى مسجده يقرأ فى مصحفه[5].

---

(١) انظر الرأي العام في ضوء الاسلام صـ ١٨٧.

(٢) سير اعلام النبلاء للذهبي جـ ١ صـ ١٥٢ .

(٣) المصدر السابق جـ ٧ صـ ١٤٠ -١٤١ .

(٤) المصدر السابق جـ صـ ١٤١ .

(٥) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان البستي تحقيق عادل أحمد عبد الموجود ، وعلي محمد معوض مكتبة نزار البازبالرياض – الطبعة الثانية عام ١٤١٨هـ ١٩٩٧م. صـ ٤٢ .

٥- ومن الأسباب التى يرجع إليها ضعف صلة المدعوين بالدعاة : استحواذ وسائل الترفيه الحديثة العديدة والمتنوعة شكلا وموضوعاً على أوقات الناس ولهثهم وراء ما تقدم لهم من غثاء بل سموم [١] حيث شغلتهم وأعمت أبصارهم وربما بصائرهم بل وقطعت كل صلة تربطهم بدينهم .

هذه بعض أسباب الفجوة الخاصة بالمدعوين والتى كانت سببا فى شرخ العلاقة بينهم وبين الدعاة وفى المبحث التالى سوف نذكر أسباب الفجوة الخارجة عن إرادة الدعاة والمدعوين .

المبحث الثالث : أسباب الفجوة الخارجة عنهما :

ذكرت فى المبحثين السابقين أسباب الفجوة التى ترجع إلى الدعاة ، والتى ترجع إلى المدعوين ، وفى هذا المبحث سوف نذكر الأسباب الخارجة عن إرادتهما ، والتى - أعتقد أنها - هي أس القطيعة بينهما والتى تفرخت منها كل الأسباب السابقة ، لأن هذا جاء نتيجة خطة مدبرة ومحكمة من أعداء الإسلام ، حيث يقول أحدهم :" وقد عنينا عناية عظيمة بالحط من كرامة رجال الدين فى أعين الناس ، وبذلك نجحنا فى الإضرار برسالتهم التى كان يمكن أن تكون عقبة كئودا فى طريقنا ، وأن نفوذ رجال الدين على الناس ليتضاءل يوما فيوما ثم يقول : سنقصر رجال الدين وتعاليمهم له على جانب صغير جدا من الحياة ، وسيكون تأثيرهم وبيلا سيئا على الناس ، حتى إن تعاليمهم سيكون لها أثر مناقض للأثر الذي جرت العادة بأن يكون لها [٢] .

وبالفعل ، فإن أعداء الإسلام استطاعوا غزو الأمة الإسلامية فى عقر دارها عن طريقين :

أ- عن طريق إفساد نخبة من أبنائها الذين وفدوا ، أو ابعثوا إلى بلاد الغرب ، فحمل كثير من هؤلاء سموم أعدائهم وعادوا وقد صنعوا على أعينهم ليكونوا فى مراكز القيادة والتوجيه.

---

(١) انظر المسئولية في الاعلام " النظرية والتطبيق " د/ محمد البشر - دار عالم الكتب بالرياض -الطبعة الأولي عام ١٤١٧هـ صـ ٢٤-٢٦ وانظر مكانة وسائل الاعلام الجماهيرية في تحقيق وحدة الأمة د / سيد ساداتي الشنقيطي دار عالم الكتب الرياض عام ١٤١٨هـ صـ ١٠٧ -١٠٨ . ، صـ ١٤٣ - ١٤٧.

(٢) الخطر اليهود - بروتوكولات حكماء صهيون - ترجمة الأستاذ / محمد خليفة التونسي - مكتبة دار التراث بالقاهرة صـ ٢٥٢ - ٢٥٣.

ب- وعن طريق ركائز محلية رباها الاستعمار فى بلاد المسلمين تربية خاصة ، ليكونوا خلفا لهم بعد جلائهم أو إخراجهم ، وخططوا لهم ، وتابعوا دعمهم وتأييدهم ، وتبادلوا المصالح فيما بينهم .

ومن هنا نستنتج أن أعداء الإسلام المتمثل فى الاستعمار هو أول الأسباب فى إيجاد الفجوة وبث القطيعة بين الدعاة والمدعوين حيث استطاع :-

أولاً : أن يشيع بين الناس – وبخاصة أبناء المسلمين – أن الإسلام دين عبادة فقط ، لا دخل له بأمور الدنيا ، وبالتالي فإن رجال الدين لا يفقهون شيئا فى أمور الدنيا ، وأقول إن هذا الانطباع فهم مما حدث للكنيسة فى أوروبا من انفصالها كلية عن الشئون السياسية والاقتصادية وغيرها ، لأنها كانت سببا فى تأخر الغرب ، ففهم كثير من الناس هذا القصور ، وهو أن رجال الدين المسيحي كانوا يدسون أنوفهم مع ملوكهم ورؤسائهم فى الحكم ، فكان سببا فى تأخر بلادهم ، لذا لا ينبغي لرجال الدين الإسلامي أن يدسوا أنوفهم فى أمور السياسة والاقتصاد ، وغير ذلك من مجالات الحياة .

يقص علينا فضيلة الدكتور / عبدالغفار عزيز رحمه الله فى كتابه ، الخطاية الدينية بين النظرية والتطبيق ، موقفا مؤلما لأحد المسلمين المثقفين سوء فهمه لروح الإسلام الحنيف ، وظنه أن الإسلام دين عبادة فقط لا صلة له بأمور الحياة .. ولا يجوز لدعاته أن يتحدثوا إلا فى أمور الصلاة والزكاة وغيرها من أمور العبادة فقط فيقول رحمه الله تعالى :

" والغريب أن كثيرا من مثقفينا يتصورون ، بل هم يدعون إن الدين هو سبب التخلف الذي تعانى فيه المجتمعات الإسلامية ، ولقد قال لى مرة واحد ممن يقال عنهم إنه من المثقفين الكبار ، بعد سماعه لخطبة جمعة تعرضت فيها لنواحي اجتماعية واقتصادية ما معناه : لماذا تتدخلون فى غير شئون الدين ؟ ماذا يفهم رجل الدين فى أمور الحكم والاقتصاد والسياسة ؟

لماذا لا يترك كل مجال لأربابه ؟

ثم واصل الرجل كلامه وقال : إننا لم نتأخر إلا لأن رجال الدين يدسون أنوفهم فى كل شئ ، ويحاولون تنصيب أنفسهم وصاة على الشعب وعلى الدولة .

ثم قال أيضاً :

ومن الأسف أن الجماهير تستجيب لأفكارهم الرجعية ، وهذا من أسباب تأخرنا عن الغرب الذي ثار على الكنيسة وعزلها بعد الثورة الفرنسية عن المجتمع ، وعن التأثير فى

مجالاته السياسية والاقتصادية وغيرها ، ثم يشرح وجهة نظره فاسترسل يقول :

إن أكبر ما حققته الثورة الفرنسية هي أنها استطاعت أن تحطم اخطبوط الكنيسة ، ففككت قيود وأغلال الشعوب الأوربية الفكرية والعلمية والاقتصادية والاجتماعية ، فانطلقت وحققت هذه النهضة ، وهذه الرفاهية التى لم تعرفها البشرية من قبل ، وظل العالم الإسلامي حبيس أفكاره الرجعية فظل على تأخره ، واستطاع الغرب أن يسيطر عليه ، ويحتل بلاده ويسترف ثرواته .

ويعلق أستاذنا الدكتور / عبدالغفار رحمه الله على هذا الفهم السقيم فيقول :

وكان هذا تصور المثقف الكبير ، وتصور الكثيرين ، من أبناء المسلمين ، ونسى هذا وأمثاله أو جهلوا أن تخلفنا عن الغرب ليس بسبب تعاليم الإسلام نفسها ، وإنما بسبب عدم فهمه للإسلام هو أو غيره ممن يدينون للغرب لما بثه فيهم الاستعمار والاستشراق من دعوى قصور الإسلام بصفة عامة عن الوفاء باحتياجات المجتمعات [1].

ثانيا : إن الاستعمار استطاع خلال فترة احتلاله للبلاد الإسلامية : إشاعة روح الانهزام الفكري ، وإضاعة روح الاعتزاز بالشخصية الإسلامية عند جماعة من المسلمين ، فخرجوهم على أيديهم وفق خططهم ومناهجهم ، وسلموهم زمام القيادة الثقافية والاجتماعية ، فأصبحوا للأسف أول الدعاة إلى هذه التبعية الثقافية وعملوا على نشرها والترويج لها ، وقد حرص الاستعمار على التشكيك فى مبادئ الإسلام ، وإثارة الشبهات حول كثير من أحكامه، وحجب الثقافة الإسلامية عن أبناء المسلمين ليظلوا جاهلين بالحقائق الناصعة الكبرى التى جاءت به رسالة الإسلام حتى يتمكنوا من غرس مثلهم الغربية المادية وفكرهم المسموم ، وقد انفرد المستعمرون ومن والاهم من المسلمين المتغربين بالتخطيط التربوي ، ورسم السياسة التعليمية فى كثير من البلاد الإسلامية ، وذلك ليصبغوا الجيل المسلم بتفكيره، وأسلوب حياته على أساس القوالب الغربية المحضة .

ثالثاً : إن الاستعمار لجأ إلى تنفير الناس وسخريتهم بطالب العلم الديني ، والتفرقة بين أستاذ الدين وأساتذة المواد الأخرى فى كل شئ .. تفرقة مرسومة ومقصودة ، ثم بالتفرقة بين خريج المعاهد والكليات الدينية محدودة ، متواضعة فى المظهر وفى الأجر ، وبين المعاهد والكليات الأخرى فى المناصب والمظهر والأجر ، وفى اللاشعور يرسب ذلك كله .

---

(١) الخطابة الدينية بين النظرية والتطبيق – دارالحقيقة للإعلام الدولي صـ ٢٢٤ – ٢٢٥ .

نفورا من الدين ...

وإقبالا على غير الدين ...

من حيث لا يدرى الطالب الصغير أو الكبير ، ومن حيث لا يشعر [1].

وبالفعل هذا أدى إلى هروب الناس من دخول أبنائهم الأزهر ، حتى كان فى وقت كاد الأزهر يقفل أبوابه بالضبة والمفتاح لماذا ؟

لأن كثيرا من الناس ينظرون إلى خريجي الأزهر نظرة دونية عن خريج أى جامعة أخرى مثلا ، قال لى أحد المعيدين كنت ذات مرة راكبا إحدى المواصلات وجلس بجوارى رجل كبير فسألني عن أسمى فأخبرته به ثم سألني عن عملى ؟ فقلت له : إنى معيد فقال سبحان الله ما شاء الله

ثم بادرني بسؤال آخر تعمل معيدا فى أى جامعة وفى أى كلية فقلت له فى كلية أصول الدين جامعة الأزهر فقال الرجل : فى الأزهر ... فى الأزهر فيقول هذا المعيد ، وأخذ الرجل يمد فى همزة الأزهر اكثر من عشر حركات ، وكأنه يعنى أن المعيد لا يكون إلا فى الكليات والجامعات الأخرى ، وأما الأزهر لا يصلح يخرج دكاترة .

ثم قال هذا المعيد : إن هذا الرجل سكت بعد ذلك سكوتا مطبقا وكأنه ألجم إلى أن نزل ولم يكلمنى بعد ذلك بكلمة واحدة .. وهكذا ، فان نظرة كثير من الناس إلى خريج الأزهر تختلف عن نظرتهم إلى خريج أى جامعة أخرى ... والذي فعل ذلك هو الاستعمار .

رابعاً : استطاع الاستعمار : إضعاف سلطان الإسلام فى نفوس المسلمين ، ويقوم هذا الأسلوب على السخرية لعلماء الدين وتصويرهم بصورة الجهلاء الجامدين تارة ، والمنافقين المستغلين لسلطان وظائفهم ونفوذهم تارة أخرى ، وبث الإشاعات ونشر الاتهامات المختلفة حولهم ، وذلك لتقليص نفوذهم وسيطرتهم على نفوس المسلمين ، ولقد نجح الأعداء إلى حد كبير فى الحقبة الأخيرة من هذا القرن حتى شوهوا سمعة العلماء والدعاة الذين يؤخذ عنهم الدين ، وتكتسب منهم الدعوة ، ويقتبس منهم نور الإسلام وحقائقه حتى زهدوا فى طلب العلم الديني .

السبب الثاني : الأعلام المعاصر ، وما قام وما يقوم به من تشويه لصورة العالم الأزهري فى جميع وسائله وأجهزته حيث صور صورة الشيخ الأزهرى فى الأفلام

(١) اساليب الفكري للعالم الإسلامي د / علي جريشة – محمد شريف – دار الاعتصام صـ ٦٤ بتصرف .

والمسلسلات العربية بصورة مشوهة قبيحة ، فيها سخرية واستهزاء ، وهذا التشويه ناشئ عن أحد أمرين : إما التشويه المتعمد ، وهذا نجده عند من يحملون فكرا مضادا للفكر الإسلامي .

أو تشويه ناتج عن التقليد لصورة " رجل الدين " فى القصص الغربية .

ولو بحثنا عن شخصية رجل الدين فى كثير من قصصنا العربية ، فإننا سنجدها فى أغلب الأحيان رمزا للبلاهة والسذاجة المفرطة ، ومثالا للقذارة والشعوذة ، وأنموذجا للسلبية المشينة ، فالشيخ الشنأوى فى رواية " الأرض " فقيه ريفي يلقى تهمة الكفر جزافا ، ويمالئ الخونة والمستغلين ويفهم الدين فهما ضيقا سقيما ، والشيخ الجنيدي فى رواية " اللص والكلاب " شارد عن العالم حوله ، غارق فى أوراده وأذكاره ، ومن حوله الصراع الاجتماعي العنيف والتغيرات الجذرية [1]

وهكذا فى كثير من المسلسلات والأفلام بل والإعلانات نجد أن الأبله أو المجنون أو الذي يلبس ثيابا وسخة أو الذي يتقعر فى كلامه ينادي عليه بكلمة " شيخ " ولا شك أن هذا أعطى أنطباعا سيئا ، وصورة مشوهة لعلماء الإسلام ودعاته فى نظر عامة الناس .

إذن :

ما الذي ترتب على هذه الأسباب ؟

هذا ما سنوضحه فى المبحث التالى :

المبحث الرابع : الآثار المترتبة على إيجاد الفجوة بين الدعاة والمدعوين :

لا شك أن كل الأسباب والدوافع التى ذكرناها ، ترتب عليها أثار خطيرة ، ولعل من أبرزها :

أ- انصراف الناس عن الدعاة :

وهذا الانصراف سواء كان فيما يتعلق بسماع العلم ، منهم أو طلب الفتوى ، وهذا أمر ظاهر وواضح ، يدركه الذين يولون حركة الحياة اهتماما ولو يسيرا ، مما أدى إلى ضعف حياة المسلمين بصورة عامة.

(١) الإسلامية والمذاهب الأدبية – نجيب الكيلاني – مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الثانية عام ١٤٠١هـ - ١٩٨١ م. صـ ٢٤ .

ب – نيل الناس من الدعاة :

ليت الناس تركوا الدعاة يؤدون رسالتهم ، وانصرفوا عنهم ، وتركوهم لحالهم ، بل أخذوا فى طعنهم وتجريحهم على صفحات الجرائد والمجلات وفى كل مكان يوجدون فيه ، ولا يخفى ذلك على من يغشى مجالس الناس اليوم " وصور العلماء فى هذا التجريح بأنهم أصبحوا أدوات لظلم الناس وأنه لا شان لهم بإصلاح شئوون الخلق ، ولا اهتمام لهم بها ، ومن ثم فلابد من سحب البساط من تحتهم ، وتوجه الناس إلى غيرهم لتولى قيادتهم وتوجيههم الوجهة التى يريدون حتى تقوم تلك الجهات بإسداء المشورة والنصح فى إدارة دفة الحياة ، وتناط بها مهمة إيجاد حلول المشكلات اليومية التى يتعرض لها الناس ، ومن ثم يفقد العلماء وهجهم وتألقهم فى حياة الناس وينصرف الناس منهم بانفكاك مصالحهم الدينية والدنيوية عنهم كما تصدروا، ولا يعلم مبلغ خطر ذلك على الناس أنفسهم ولا تخفى تلك المظاهر على من كان له أدنى بصر أو بصيرة "[1].

وترتب على هذا ما يلي :

١ – تأخر العلماء عن مكانتهم الطبيعية فى الحياة الاجتماعية .

٢ – تشويه سمعة الدعاة واتهامهم بالعمالة للاستعمار والصهيونية أو التخلف والرجعية .

٣ – تشجيع الكتاب الملحدين من العلمانيين والماسونيين وإعطاؤهم الحرية فى مهاجمة الدعاة .

٤ – شيوع الجهل بدين الله ، وانتشار البدع والخرافات ، وسيادة كثير من المفاهيم المغلوطة كالتواكل والمسكنة مما عرض حياة المسلمين لصنوف من الذلة والهوان ما كان لها أن توجد فى ظل الفهم الصحيح للإسلام .

٥ــ شيوع مظاهر الانحراف الفكرى والسلوكي فى حياة المسلمين .

٦ــ تشتت شمل الناس وتفرقهم إلى شيع وأحزاب ، وفرق وجماعات حتى فى التيار الفكري الواحد مما يعايشه الناس فى واقعهم وحياتهم .

٧ – ظهور سلبيات كثيرة فى حياة المسلمين كالغلو والتطرف وما يترتب عليه من تكفير للناس ، وما يقابله من إهمال وتسيب وهو التفريط وما نشأ عنه من انتشار للفساد اعتقادا وسلوكا ، مما هيأ فرصة لجهات أخرى لمحاولة الظهور بمظهر البديل الملائم عن الدعاة والعلماء ، وخاصة بعض الطامحين من ذوى البضاعة القليلة فى العلم الشرعي

(١) انظر الرأي العام في ضوء الاسلام صـ ١٥٦-١٥٧ وانظر وظيفة الأخبار في سورة الأنعام – د / سيد ساداتي الشنقيطي دار عالم الكتب – الرياض – الطبعة الثالثة عام ١٤١٠هـ صـ ٣٦٨ .

وأصحاب الدعوات الذين يفرقون بين العلم والدعوة أو بين الدعاة والعلماء ، أو بين الفقه فى الدين والفقه فى الدعوة أو غير ذلك من الشعارات التى تطفح بها واقع الأمة مما كان له أكبر الأثر على الدين والسلوك و الأفكار والمفاهيم والتعامل والمواقف بـــل الولاء والبراء " إن من أشراط الساعة أن يلتمس العلم عند الأصاغر "[1].

هذه الآثار وتلك الأسباب التى أدت إلى ايجاد فجوة وقطيعة بين الدعاة والمدعوين والأمل معقود فى رجوع العلاقة الطبيعية السوية التى كانت بين الدعاة والمدعوين فى سالف عهد الأمة والتى كانت من أسباب صحة الأمة ، وعزها ، وسؤددها ، وريادها حيث كانوا سادة وقادة .

وما الصحابة رضوان الله عليهم والدعاة من بعدهم مثل الحسن البصري ، وعبدالله بن مبارك والأئمة الأربعة " أبو حنيفة ومالك ، والشافعى وابـــن حنبـــل " ، والعـــز بـــن عبدالسلام ،و ابن تيمية ، وبن قيم الجوزية إلا كواكب مضيئة فى سماء مجد الأمة الذي نرجو أن يعود من جديد فى ظل إدراك حقيقي لمكانة الدعاة واحلالهم المحل اللائق بهم ، خاصة وأن بوادر بزوغ الفجر الصادق بدأت تلوح فى الأفق من خلال مبشرات كثيرة ، ليس أقلـــها تهأوي صروح الباطل فى كل مكان .

ولعلنا فى الفصل القادم نحاول أن نقدم علاجا نحسبه – بإذن الله تعـــالى – نافعـــا ومفيدا للدعاة والمدعوين ، وسببا فى سد الفجوة التى بينهما حتى يسود الحب والود والتقدير بينهما كما كان فى سالف في العهود السابقة .

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة (٦٩٥).

الفصل الثالث
سبل علاج الفجوة بين الدعاة والمدعوين

المبحث الأول : سبل العلاج الخاصة بالدعاة :

إن الدعاة إلى الله تعالى هم أئمة الهدى ، وقادة الخلق إلى هداية الحق ، ، وهم حراس الفضائل ، وأمناء الخلق ، والمراقبون لسلوك وأحوال المدعوين ، وهم المرآة التى يرى فيها المسلمون أنفسهم ، فهم قدوة لهم فى كل تصرفاتهم ، وهم أطباء القلوب والأرواح ، يعالجون أمراض النفوس ، ويصلحون أوضاع المجتمع بالحكمة والموعظة الحسنة ، يقول ابن قيم الجوزية رحمه الله عن الدعاة : " هؤلاء : هم خواص خلق الله وأفضلهم عند الله منزلة وأعلاهم قدراً "(١).

ويقول أيضا : فمن دعا إلى الله فهو على سبيل رسول الله ﷺ، وهو على بصيرة ، وهو من اتباعه ، ومن دعا إلى غير ذلك فليس على سبيله ، ولا هو على بصيرة ، ولا هو من إتباعه ، فالدعوة إلى الله هي وظيفة المرسلين وأتباعهم ، وهم خلفاء الرسل فى أممهم والناس تبع لهم ثم قال رحمه الله : وتبليغ سنته إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو ، لأن تبليغ السهام يفعله كثير من الناس ، وأما تبليغ السنن فلا يقوم به إلا ورثة الأنبياء وخلفائهم فى أممهم (٢).

ومن هنا لزم على الدعاة أن يسلكوا سبلا وطرقا تقربهم إلى المدعوين ، وتحببهم فيهم ، ويثقون فى أقوالهم ، عندئذ تقوى الصلة – أى صلة الحب والاحترام والاجلال – بينهما ، وتعود إلى ما كانت عليه فى العصور الزاهية من تاريخ الأمة .

---

(١) مفتاح دار السعادة – مطبعة زمزم بالرياض – الطبعة الأولي عام ١٤١٤هـ جـ١ صـ ٢٤٠ .

(٢) التفسير القيم لابن القيم – تحقيق محمد حامد الفقي صـ ٤٣٠ .

ومن السبل التى يجب أن يسلكها الدعاة وهي كثيرة ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي :

أولا : استخدام السياسة الحكيمة مع المدعوين :

ينبغي على الداعية إلى الله تعالى أن يسلك مسلك السياسة الحكيمة فى دعوته إلى الله تعالى مع مدعويه ، وسيكون لذلك أثر عظيم فى نجاح دعوته واكتسابه الحكمة ، والوصول إلى الغاية المنشودة بإذن الله تعالى .

ولقد سلك هذا المسلك إمام الدعاة ﷺ وهو أسوتنا وقدوتنا ، فنفع الله به العباد ، وأنقذهم من الشرك إلى التوحيد ، وكان لسياسته الحكيمة عظيم النفع والأثر فى نجاح دعوته، وإنشاء دولته ، وقوة سلطانه ، ورفعة مقامه ، ولم يعرف فى تاريخ السياسات البشرية أن رجلا من الساسة المصلحين فى أى أمة من الأمم كان له مثل هذا الأثر العظيم ومن من المصلحين المبرزين – سواء كان قائدا محنكا ، أو مربيا حكيما – اجتمع لديه من رجاحة العقل ، وأصالة الرأى وقوة العزم وصدق الفراسة ، ما اجتمع فى رسول الله ﷺ ؟

ولقد برهن على وجود ذلك فيه (صحة رأيه ، وصواب تدبيره ، وحسن تأليفه ، ومكارم أخلاقه ﷺ [1] .

فإذا قام الداعية بسلوك هذا المسلك بإخلاص ، وصدق وعزيمة ، اكتسب من الحكمة فى الدعوة إلى الله مكتسبا عظيما . وطرق السياسة الحكيمة فى الدعوة الله تعالى كثيرة منها ما يلي :-

١- تحرى أوقات الفراغ والنشاط ، والحاجة عند المدعوين حتى لا يملوا عن الاستماع ، ويفوتهم من الإرشاد والتعليم النافع ، والنصائح الغالية الشئ الكثير ، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يتخول أصحابه بالموعظة كراهة السآمة عليهم ، فعن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه: قال : كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة فى الأيام كراهة السآمة علينا[2].

ولهذا طبق الصحابة – رضوان الله عليهم – هذه السياسة فى وعظ الناس ، فقد كان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يذكر الناس فى كل خميس ، فقال له رجل : يا أبا عبدالرحمن لوددت أنك ذكرتنا كل يوم ، قال : اما أنه يمنعني من ذلك أني أكره أن املكم ،

(١) هداية المرشدين / للشيخ / علي محفوظ صـ ٣٤ .

(٢) فتح الباري –كتاب العلم – باب ما كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة والعلم صـ ١٦٢ .

وإني أتخولكم بالموعظة كما كان النبي ﷺ يتخولنا بها مخافة السآمة علينا [1].

وقد ثبت عنه ﷺ انه قال : يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا [2].

ومن هنا فإنه ينبغي على الدعاة أن يقتدوا برسول الله ﷺ وبالصحابة الكرام في وعظ المدعوين وإرشادهم بأن يتحروا الأوقات المناسبة والظروف المواتية ، فإن القلوب تمل كما تمل الأبدان .

٢- ترك الأمر الذي لا ضرر في تركه ولا إثم ، اتقاء للفتنة ، ينبغي على الداعية أن يكون حصيفا ، فطنا ، ذكيا ، بأنه إذا ذهب إلي مكان ووجد عند أهله عادات وتقاليد لاتخالف الشرع ولكن فعل غيرها أفضل ، فإذا علم انه دعا إلى ترك هذا الأمر وفعل الأفضل منه، سيحدث فتنة فلا ينبغي له الحديث فيه ولا حرج عليه ، وقد ترك النبي ﷺ هدم الكعبة وبناءها على قواعد ابراهيم عليه السلام اجتنابا لفتنة قوم كانوا حديثي عهد بجاهلية ، فعن عائشة رضى الله عنها أن النبي ﷺ قال لها : يا عائشة لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لأمرت بالبيت فهدم ، فأدخلت فيه ما أخرج منه وألزقته بالأرض ، وجعلت له بابين : بابا شرقيا ، وبابا غربيا ، فبلغت به أساس ابراهيم وفي رواية " إن قومك قصرت بهم النفقة ، قلت : فما شأن بابه مرتفعا ؟ قال : فعل ذلك قومك ليدخلوا من شاؤا ويمنعوا من شاؤا ، ولولا أن قومك حديث عهدهم بالجاهلية فأخاف أن تنكر قلوبهم أن أدخل الجدر في البيت ، وإن ألصق بابه بالأرض " [3].

وهذا يوضح للداعية على أن المصالح إذا تعارضت ، أو تعارضت مصلحة ومفسدة، وتعذر الجمع بين فعل المصلحة وترك المفسدة بدئ بالأهم ، لأن النبي ﷺ أخبر أن نقض الكعبة وردها إلى ما كانت عليه من قواعد ابراهيم عليه السلام مصلحة ، ولكن تعارضه مفسدة أعظم منه وهو خوف فتنة بعض من أسلم قريبا ، وذلك كما كانوا يعتقدونه من فضل الكعبة ، فيرون تغييرها عظيما ، فتركها ﷺ لدفع هذه المفسدة [4] .

---

(١) فتح الباري – كتاب العلم – باب جعل لأهل العلم أياما معلومة جـ ١ ـ ١٦٣ .

(٢) المرجع السابق جـ ١ صـ ١٦٢ .

(٣) المرجع السابق كتاب الحج باب فضل مكة وبنيانها جـ ٣ صـ ٤٣٩.

(٤) شرح النووي علي صحيح مسلم جـ ٩ صـ ٨٩ .

٣ــ تأليف القلوب بالمال والجاه أحيانا :

فالداعية كالطبيب يشخص المرض أولا ، ثم يعطي العلاج على حسب نوع المرض، فإذا علم الداعية أن المدعو لم يرسخ الإيمان في قلبه رسوخا لا تزلزله الفتن ، فله أن يعطيه من المال ما يستطيعه ، للاحتفاظ بالبقاء على الهداية بالإسلام ، فقد سلك النبي ﷺ هذا المسلك حيث اثر حديثي العهد بالإسلام بجانب من المال ، إذا ظهر له ان الإيمان لم يرسخ ، ولذلك أشار بقوله : "إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلى منه خشية ان يكب في النار على وجهه [١].

وقد كان ﷺ يعطي أشراف قريش من المؤلفة قلوبهم لتلافي أحقادهم ، ولأن الهدايا تجمع القلوب وتذهب الأحقاد بل وتجعل القلوب متهيئة للنظر في صدق الدعوة ، وصحة العقيدة .

والتأليف بالجاه ولطف الكلام من السياسة الحكيمة ، ولهذا قال النبي ﷺ للأنصار حينما آثر عليهم غيرهم في العطاء : أفلا ترضون أن يذهب الناس بالأموال ، وترجعون إلى رحالكم برسول الله ﷺ ؟

فو الله لما ينقلبون به خير مما ينقلبون به فقالوا : بلى يا رسول الله قد رضينا [٢].

وفي رواية (لو سلك الناس واديا أو شعبا ، وسلكت الأنصار واديا أو شعبا لسلكت وادي الأنصار أو شعب الأنصار) [٣].

ومن ثم فإنه ينبغي على الدعاة أن يتألفوا المدعوين بالهدايا أو المال أو أي شئ مما يحبونه ، فإن النفوس جبلت على حب من يحسن إليها ، وصدق رسول الله ﷺ حيث قال : تهادوا تحابوا [٤].

٤ــ التأليف بالعفو في موضع الانتقام والإحسان في مكان الإساءة من سياسة إمام الدعاة ﷺ: التأليف بالعفو في موضع الانتقام ، والإحسان في مكان الإساءة واللين في موضع المؤاخذة ، والصبر على الأذى ، فكان ﷺ يقابل الأذى بالصبر الجميل ، ويقابل الحمق بالحلم والرفق ، ويقابل العجلة والطيش بالأناة والتثبت .

---

(١) فتح الباري كتاب الايمان باب إذ لم يكن الاسلام علي الحقيقة جـ ١ صـ ٧٩ ومسلم كتاب الايمان باب تأليف قلب من يخاف علي ايمانه لضعفه جـ ٢ صـ ١٣٢ .

(٢) فتح الباري : كتاب فرض الخمس باب : ماكان النبي ﷺ يعطي المؤلف قلوبه جـ ٦ صـ ٢٥١.

(٣) مسلم : كتاب الزكاة : باب : اعطاء المؤلف قلوبهم جـ ٢ صـ ٧٣٥ .

(٤) اخرجه البيهقي في السنن الكبري جـ ٦ صـ ١٦٩.

وهذا من أعظم ما يجذب المدعوين ويحببهم فى الداعية (وبمثل هذه المعاملة الحسنة اجتمع قلوب أصحابة ﷺ حوله ، فتفانوا فى محبته والدفاع عن دعوته بمؤازرته ومناصرته)[1]

٥- ومن السياسة الحكيمة التى ينبغي على الدعاة السير على هديها : الأدب الرفيع وحسن الاستقامة :- يقول الشيخ / على محفوظ رحمه الله : قد تكون الدعوة قوية الحجة ، حكيمة الأسلوب ، ولكن يعوزها شئ من الأدب الراقى وحسن التصرف ، إذ لا يكفى فى الدعوة إلى الحق أن يطرق الداعي بها الأندية والمجتمعات أو يعرضها على الأفراد فى مختلف الأوقات ، دون أن يكسوها من جمال الأدب ما يجعلها حسنة السمت ، بعيدة الأثر فى نفوس السامعين فكم من خطيب مصقع ، وفصيح مفوه ، يغشى المجالس ، ويزاحم الدعاة الناصحين فى الدعوة إلى الحق والفضيلة ، فلا يكون نصيبه إلا إعراض الناس عن دعوته ، كما يعرضون عن البضاعة المزجاة ، ولو علموا العلة فى ذلك لأصلحوا أنفسهم أولا وألبسوها حلة الأدب ، وخلعوا على دعوتهم من هذه الحلل النفيسه ، فإن كل من يتصدى لتكميل الناقصين ، وإصلاح النفوس ، لابد أن يكون مثلا أعلى فى الاستقامة ، والخلق الفاضل[2].

إذن يجب على الداعية ان يكون قدوة طيبة فى أخلاقة وسلوكه وأدبه لأنه يكسب لدعوته بسلوكه أكثر مما يكسب لها بوعظه وإرشاده ، ذلك لأن الناس ينظرون إلى الدعاة دائما على أنهم نماذج حية ، وأئمة هداية ، ودعاة فضيلة ، ومن ثم فإنهم يتأثرون بسلوكهم الفعلى أكثر مما يتأثرون بخطبهم المؤثرة ، ودروسهم المثيرة ، ومحاضراتهم التى تستحوذ على القلوب والعقول[3].

إن سلوك الداعية العملي من الأدب الرفيع وحسن الاستقامة يستفيد منه الناس أكثر مما يستفيدون من الكلام ، ولقد حدث ذلك مع رسول الله ﷺ عندما أمر أصحابه بعد صلح الحديبية أن ينحروا هديهم ، ويحلقوا رؤوسهم ، فلم يقم منهم أحد ، يقول ابن القيم الجوزية رحمه الله : (فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ قوموا فانحروا ، ثم احلقوا ، فو الله ما قام منهم رجل واحد حتى قال ثلاث مرات ، فلما لم يقم منهم أحد ، قام فدخل على أم سلمة رضى الله عنها ، فذكر لها ما لقى من الناس ، فقالت أم سلمة يا رسول الله أتحب ذلك ؟

---

(١) هداية المرشدين صـ ٣٧ .

(٢) المرجع السابق صـ ٣٢ - ٣٣ .

(٣) علم النفس وعلاقته بالدعوة الاسلامية - للمؤلف صـ ٥٤ .

أخرج ثم لا تكلم أحدا كلمة حتى تنحر بدنتك ، وتدعو حالقك فيحلق لك. فقام فخرج ، فلما لم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك ، نحر بدنته ، ودعا حالقه فحلقه ، فلما رأى الناس ذلك قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق لبعض حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما[1].

ويفهم من هذا الموقف أن رسول الله ﷺ وهو من هو ، أمر أصحاب بالنحر ثم الحلق ، ولكن لم يمتثل أحد لهذا الأمر ، ولما أخبر أم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها ، أشارت عليه بالفعل بدل القول ، وبمجرد ان فعل – ﷺ – ما أمر به أسرع الصحابة – رضوان الله عليهم – بفعل ما امتنعوا عن فعله فى أول الأمر ، وهكذا نرى أن الفعل تؤثر فى الناس أكثر مما تؤثر الخطب البليغة والألفاظ الرنانة[2].

ولذا قيل :– فعل رجل فى ألف رجل خير من قول ألف رجل فى رجل ، وقول بلا عمل كشجر بلا ثمر[3].

وقال على رضى الله عنه : الداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر .

ومن ثم فإنه ينبغي على الداعية ان يكون موجها مهذبا بحاله قبل مقاله ، وبفعله قبل وعظه ، وبسلوكه قبل دروسه ، فإنه بذلك يؤثر فى نفوس مستمعيه تأثيرا طيبا ، ولله در من قال :

يا أيها الرجل المعلم غيره ... هلا لنفسك كان ذا التعليم

نصف الدواء لذى السقام وذى ... الضناكيما يصح به وأنت سقيم

إبدأ بنفسه فانهها عن غيها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

فهناك يسمع ما تقول ويشتفى ... بالقول منك وينفع التعليم

٦– ومن السياسة الحكيمة التى لا ينبغي على الدعاة إغفالها التطلف بالمدعوين والرفق بهم :

إن التلطف بالمدعوين والرفق بهم له أكبر الأثر فى إقبال المدعوين على الداعية ، ويتجلى هذا فى وصف أصحاب رسول الله ﷺ وهو إمام الدعاة حيث كان أوسع الناس صدرا ، وأصدقهم لهجة ، وألينهم عريكة ، وأكثرهم عشرة ، يؤلف الناس ولا ينفرهم ، ويكرم كريم القوم ، ويعطى كل أحد من جلسائه نصيبه ، من جالسه أو قاربه لحاجة صابره

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد جـ ١ صـ ١٣٩.

(٢) علم النفس وعلاقة بالدعوة الاسلامية صـ ٥٦ .

(٣) نظريات الغرب وحضارته في ميزان الاسلام – ماهر خليل – مجمع البحوث الاسلامية – الكتاب الثاني عام ١٩٨٦م. صـ ٥٢ .

حتى يكون هو المنصرف عنه ، ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور القول ، وكان ﷺ دائم البشر، سهل الخلق ، لين الجانب، ليس بفظ ولا غيظ القلب ، ولا صخاب[1]، ولا فاحش ولا عياب ، فعن عائشة رضى الله عنها قال : كان رسول الله – ﷺ – أحسن الناس خلقا ، ما دعاه احد من أصحابه ولا أهل بيته إلا قال لبيك[2].

وعن أنس رضى الله عنه قال : كان رسول الله – ﷺ – من أشد الناس لطفا ، والله ما كان يمتنع فى غداة باردة من عبد ولا من أمة ولا صبي أن يأتيه بالماء فيغسل وجهه وذراعيه ، وما سأله سائل قط إلا أصغى إليه أذنه ، فلم ينصرف حتى يكون هو الذي ينصرف عنه ، وما تناول أحد بيده – ﷺ – إلا ناوله إياها فلم ينزع حتى يكون هو الذي ينزع[3].

وعن أنس رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقا ، وإن كان ليخالطنا حتى يقول لأخ لى صغير : يا أبا عمير ما فعل النغير ؟ [4] أى ما شأنه وما حاله ، والنغير تصغير نغر ، وهو طائر صغير كالعصفور ، كان ذلك الصبي يلعب به فمات ، فأراد النبي ﷺ أن يواسيه ويمازحه [5] فأى لطف أحسن من هذا ؟ وأى شعور أرق من هذا ؟

فعلى الدعاة أن يتعلموا ، ويقتدوا برسول الله ﷺ فى تعاملهم مع مدعويهم .

ثانيا : الابتعاد عن مواطن الشبهات :

يحسن بالداعية أن يبتعد عن مواطن الشبهات ، ما أمكنه إلى ذلك سبيلا ، لقول رسول الله ﷺ (من اتقى الشبهات ، فقد استبرأ لعرضه ودينه) .

وقال ﷺ : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم) ، وقال على بن أبي طالب رضى الله عنه : (إياك وما يسبق إلى القلوب أنكاره وان كان عندك اعتذاره ، فرب سامع نكراً لا تستطيع أن يسمعه عذراً) .

ومواطن الشبهات أيا كانت وعلي أى وجه كان يجب على الداعية أن يكون فطنا لما يحدث حوله من أمور ، قد يظن أنها خير، فإذا ابتعد الداعية عن أماكن الشبهات أمن ما

(١) صخاب : يعني كثير اللفظ والجلبة .
(٢) متفق عليه .
(٣) رواه أبو نعيم .
(٤) متفق عليه .
(٥) هداية المرشدين صـ ٤٠ –٤١ .

يتلمسه الناس عنه من عيوب ، واستبرأ لعرضه ، واحتاط لنفسه ولدينه ودعوته ، وقطع الطريق على كثير من المتربصين به ، ووفر كثيرا من جهده ووقته ، وعمل على تهدئة نفسه وباله وضميره .

ويقول الدكتور / توفيق الواعي :

وكان الصحابة والعلماء يبتعدون عن الشبهات ، خاصة فى زمن الفتن حين يخشى من كل هفوة وينظر الناس إليه ، وكان المختار يبعث إلى ابن عمر وابن عباس عطايا فيقبلان، وبعث عبدالملك بن مروان إلى ابن عمر فى الفتنة فى قتال ابن الزبير مالا ، فأبي أن يقبله ، فلما ذهبت الفتنة ، بعث إليه فقبله (أى أنه امتنع زمن الفتنة ، خوف التهمة ، وحتى انه لا يقال إنه مناصر لأحد فى الفتنة ، فلما استقر السلطان واستقر المؤمنون زالت الشبهة) .

والمراد من الداعية فى هذا الشأن أن ينظر فى كل قول يقوله ، ويعلم مدخله ومخرجه ، وفى كل عمل يعمله ، فيعلم أثره وما ممكن أن يؤدي إليه أو يجره من متاعب أو أعباء أو شبهات .

ثم يستطرد قائلا :

ونذكر واقعة حدثت لأحد العلماء الأفاضل ، وهو الشيخ مصطفى عبدالرزاق العالم الكبير، الذي يشهد له الناس بالعلم والفضل ، تولى وزارة الأوقاف المصرية ثم مشيخة الأزهر استدعى إلى حفل أقامته ، امرأة تسمى هدى شعرأوى .

ولقد كانت هدى شعرأوى هذه تدعو إلى تحرير المرأة – كما يقولون – وتكون مخلب قط لأفكار الاستعمار ، والغزو الثقافي ، الذي هجم على الشرق فى تلك الفترة ، وكانت صاحبة مكانة عند المستعمرين والمستشرقين ودعاة التغريب أو التخريب ودائما كانت حفلاتها مختلطة بين الرجال والنساء .

ويقدم فيها ما يقدم فى مثل هذه الاحتفالات ، ويختار أى مناسبة تكثر اللقاءات والتعارف بين الجنسين ، ويحصل الأنس ، وقد دعت هذه السيدة الشيخ / مصطفى عبدالرزاق وزير الأوقاف المصرية فى ذلك الوقت إلى حفلة من هذه لحفلات تحت ستار عمل خيري .

وما أن دخل الشيخ حتى أحاطت به هدى شعرأوى وبعض الحسنأوات فى مكيدة مدبرة ونشرت الصحف صورة لوزير الأوقاف الشيخ مصطفى عبدالرزاق فى لقطة أمام هدى شعرأوى فى هذه الحفلة فى وضع يخيل للناظر لأول وهلة أن الشيخ بعمامته يراقص

هدى شعرأوى ، وقد أمسكت بيدها سيجارة ، وتعمدت مجلة المصور المصرية نشر الصورة فى حيز ملأ الصفحة ، مما جعل بعض الغيورين يكتب مقالا تحت عنوان : هذه العمامة نبرأ منها ، ويستعدى الملك فى ذلك الوقت ، وطبع المقال ، وزاد من فظاعة الأمر أن بعض الناس طبع المقال والصورة فى منشورات وصار يوزعها فى شوارع القاهرة ، وما أن وصل المقال إلى محمد محمود باشا وزير الداخلية ورئيس الوزراء فى ذلك الوقت ، وكان مريضا طريح الفراش حتى هاج وماج ، وأمر بمصادرة المجلة ومحاكمة رئيس تحريرها ، ولكن الشيخ مصطفى عبدالرزاق الرجل الفاضل عندما علم بذلك ، سارع إلى بيت رئيس الوزراء وهدد بالاستقالة إذا تم شئ مما أمر به رئيس الوزراء وقال : يا باشا أنا مخطئ ، فما كان لى أن أحضر هذا الاحتفال ، وكان واجبا على أن أتحرى وأتبين الحقيقة قبل الذهاب إلى هذا الاحتفال[1].

إذن على دعاة اليوم أن يتحروا الأمر قبل فعله ، ولا يحسنوا الظن بكل الناس فى كل الأمور ، وفى كل الأحوال ، ذلك لأن حسن النوايا – كما قيل – نصف الهلكة .

ثالثاً : العفة واليأس مما فى أيدي الناس :

من الأمور الهامة للداعية أن يكون عفيف النفس ، يائسا مما فى أيدي الناس ، عندئذ يحبه الناس ويصبح سيدا محبوبا ، وعالما جليلا ، يستمع إليه وينتفع به ، أما إذا كان غير عفيف ، وتطلع إلى ما فى أيدي الناس ، فقد باع دينه بدنياه ، وصار فى نظر الناس ممقوتا ، ثقيل الظل مرذولا ، روى عن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه أن رجلا قال يا رسول الله : أوصني وأوجز فقال ﷺ : عليك باليأس مما فى أيدي الناس ، فإنه الغنى ، وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر ، وصل صلاتك ، وأنت مودع ، وإياك وما يعتذر منه[2].

وقال الحسن البصري رحمه الله :

لا يزال الرجل كريما على الناس ، حتى يطمع فى دينارهم ، فإذا فعل ذلك استخفوا به وكرهوا حديثه وانفضوا .

وقال أعرابي لأهل البصرة من سيدكم ؟

(١) الدعوة إلي الله تعالي – الرسالة – الوسيلة – الهدف د / توفيق الواعي – دار اليقين – مصر الطبعة الثانية عام ١٤١٦هـ صـ ١٨٦-١٨٧.

(٢) رواه الحاكم في ستدركه وصحح اسناده .

قالوا : الحسن : قال بم سادكم ؟ قالوا : احتاج الناس إلى علمه واستغنى هو عن دينارهم ، فقال : ما أحسن هذا [1]؟

إذن :

يجب على الداعية أن يكون كريم النفس ، محتفظا بكرامته واحترام الناس له ، وإلا سقط من أعينهم ، وما يصنعه بعض المشايخ ممن وكل إليهم مهمة الإمامة أو الوعظ من تطفلهم ومطالبتهم للناس باستضافتهم للطعام ، والانقياد معهم بسهولة حين يدعوهم لطعام ، إنما هي إهانة ومذلة ، وأمر مشين للغاية ، ويقلل احترام الناس لهم .

ويجب على الداعية أيضا أن يكون قانعا بما قسمه الله له ، ولا يكون حريصا على حب الدنيا ، منهمكا فى طلبها ، لأن حب الدنيا رأس كل خطيئة ، فلو فعل ذلك لكان مفسدا لا مصلحا ، وضارا لا نافعا ، وما هكذا الدعاة إلى الله تعالى قال بعض الحكماء :

(وجدت أطول الناس غما الحسود ، وأهناهم عيشا القنوع ، وأصبرهم على الأذى الحريص إذا طمع وأخفضهم عيشا أرفضهم للدنيا ، وأعظمهم ندامة العالم المفرط) .

وقال سفيان الثورى رحمه الله تعالى (العالم طبيب هذه الأمة ، والمال دواؤها ، فإذا كان يجر الداء إلى نفسه فكيف يعالج غيره)[2].

وعن سهل بن سعد الساعدي رضى الله عنه قال :

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله : دلنى على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس ، فقال ﷺ :

ازهد فى الدنيا يحبك الله . وازهد فيما عند الناس يحبك الناس [3] ولقد وعظ أحد الدعاة هارون الرشيد قائلا :

يا أمير المؤمنين : من رزقه الله مالا وجمالا فعف فى جماله ، وواسى فى ماله ، كتب فى ديوان الله من الأبرار،فظن الرشيد أنه يريد شيئا فقال:إنا أمرنا بقضاء دينك ، فقال : لا تفعل يا أمير المؤمنين لا يقضى دين بدين ، أردد الحق إلى أهله ، وأقضى دين نفسك بنفسك .

فقال الرشيد : إنا أمرنا أن يجرى عليك رزق تقتات به .

---

(١) هداية المرشدين صـ ٩٧ .

(٢) المرجع السابق صـ ٩٨.

(٣) رواه ابن ماجه باسناد حسن .

قال : لا تفعل يا أمير المؤمنين ، فإنه سبحانه لا يعطيك وينساني . وها أنذا قد عشت لم تجر على رزقا . انصرف لا حاجة لى فى جرايتك

قال : هذه ألف دينار خذها .

قال : أرددها على أصحابها فهو خير لك ، وما أصنع أنا بها[1].

فكبر فى عين الرشيد ، وتأثر به أشد التأثير .

ولقد ذكرت هذه الروايات لكي يستفيد منها إخواننا الدعاة وبخاصة أولئك الذين يطلبون من الناس استضافتهم ، وقد رأيت ذلك كثيرا بنفسي ، ونصحتهم كثيرا بان هذا لا يليق لأهل العلم ، ولكن للأسف لم يستجيبوا لهذا النصح ، فكانوا موضع سخرية واستهزاء من الناس .

ومن هنا أقول ناصحا إياهم ومن على شاكلتهم فى كل موقع وفى كل مكان :

إن الداعية الحق هو الذي يزهد فيما عند الناس ، فيكسب حبهم وثقتهم ، وإن عدم الاستغلال دليل أخلاص الداعية ، وبرهان على رغبته فى نجاح دعوته .

فعلى الداعية الحق أن يأخذ نفسه بهذا الخلق الجميل ، وهو الزهد والقناعة واليأس مما فى أيدي الناس ، لأنه على قدر قناعة العلماء فى الدنيا تكون مكانتهم فى نفوس الناس والتفافهم حولهم ، والاستماع لنصائحهم ، والانقياد لإرشادهم ، وعلى قدر تعلق العلماء بالدنيا تكون زهادة الناس فيهم وعدم الثقة بهم فلا يستمعون لهم قولا ، ولا يقبلون منهم نصيحة[2].

رابعاً : التواضع ومجانبة العجب :

إن الداعية يجب عليه أن يكون متواضعاً مع مدعويه ، لين الجانب ، بعيدا عن الكبر والعجب والرياء ، ذلك لأن (المجالات التى تعمل فيها الدعاة مرتع خصب لظهور هذا الداء ونموه وعتوه ، لذلك كان الرسول ﷺ وهو سيد المتواضعين ، كثيرا ما يجأر إلى الله بالدعاء فيقول : (اللهم إنى أعوذ من نفخة الكبرياء) .

يقول الأستاذ فتحي يكن : ودعاة الإسلام أكثر الناس تعرضا للإصابة بغرور العلم، فالخطابة والكتابة والتعليم والتوجيه وسواها من وسائل الدعوة ، فضلا عن الشهادات والدرجات العلمية ، والألقاب الجامعية فإنها تعتبر من أوسع مداخل الشيطان إلى النفس

(١) البداية والنهاية لابن كثير –دار الفكر جـ ١٠ صـ ٢ .

(٢) الخطابة الدينية بين المنهج الواقع صـ ١٤٣ –١٤٥ بتصرف .

البشرية ، لأنها مجلبة للشهرة ، ملفتة للأنظار ، مثيرة للإعجاب وفى هذا ما فيه من عوامل الاشباع والإملاء لرغائب النفس وجوعاتها البشرية .. وهذا ما لفت الرسول ﷺ النظر إليه بقوله " آفة العلم الخيلاء "

ولقد حذر ﷺ من مغبة الانسياق إليه والوقوع فيه فقال ﷺ:

" من تعلم العلم ليجارى به العلماء ويماري به السفهاء ويضرب به وجوه الناس إليه أدخله الله النار " .

فعلى دعاة الإسلام أن يكونوا شديدى الاحتراس من الوقوع فى هذا المرض العضال ... وعليهم أن يحاسبوا أنفسهم دبركل حديث ألقوه ، أو خطاب أرتجلوه ، أو مقال كتبوه ، أو اجتماع أداروه ، ليطمئنوا إلى أن مشاعر العجب وأحاسيس الكبر لم توقظها طلاقة اللسان أو حسن بيان أو مظاهر إعجاب استحسان[1].

ويقول الأستاذ / اليهي الخولى :

على الداعية أن يترك " التعالم والتفاصح " على الناس ، والتحدث عن نفسه ، لأن الناس يبغضون من يكثر الحديث عن نفسه ، أو يتظاهر بالامتياز عنهم بشئ .

ولكن عليه أن يتحلى بصفة التواضع ، ويظهر لهم أنه لا يزيد عنهم فى شئ ، وإنما هو أكثرهم تحملا للمسئولية والأمانة فيتعاطفوا معه وينجذبوا إليه .

والويل كل الويل لمن يغتر بنفسه ، ويزهو بعلمه ، قد لا يثور به الناس ، وقد لا يؤذيه أحد ، ولكنه لن يقترب منهم ، ولن ينجح فى مهمته .

نقول هذا ، ليغسل كل منا نفسه ويطهرها من هذا الخبث وليكون دستورا عمليا لنا فى خطاب الناس ، فإذا خاطب أحدنا غيره خاطبه على انه مثله ونظيره ، وأن ما عنده من علم فالفضل لله وحده لا لأحد غيره .

فلنقبل على الناس بفضل الله تعالى ، لا بفضل نفوسنا ، يفتح الله ما يشاء من القلوب والعقول[2].

ولله در عمر الخطاب رضى الله عنه حيث قال :

تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم ، تواضعوا لمن تتعلمون منهم ليتواضع لكم من تعلمونه ، ولا تكونوا من جبابرة العلماء ، فلا يقوم علمكم بجهلكم .

---

(١) مشكلات الدعوة والداعية صـ ١٩٠ – ١٩١ بتصرف .

(٢) تذكرة الدعاة – دار التراث جـ ١ عام ١٩٨٧م. صـ ٣٩٢ – ٣٩٣ .

وقال بعض السلف : من تكبر بعلمه وترفع وضعه الله به .

إذن :

فمن حق المدعوين على الدعاة أن يتواضعوا لهم ، ويتلطفوا بهم فيحترمونهم ويقدرونهم ويقبلون على سماع خطبهم ووعظهم .

خامساً : حسن المظهر والهيئة :-

إنه من الأمور الهامة التى ينبغي على الدعاة ألا ينسوها أو يتناسوها تحت أى ظرف من الظروف : حسن المظهر ، وحسن الهيئة ، ذلك لأن للمظهر أثرا كبيرا فى جذب المدعوين إلى حقل الدعوة ، فحسنة وجماله أو قبحه ورثاثته ملفت للأنظار ، ولذا قيل فى الأمثال : يكرمك ثوبك قبل جلوسك ، وعلمك لا ينفعك إلا بعده[1].

ومن ثم فإنه (يجب على من يتصدى لأمر الدعوة أن يحرص على مظهره العام ، وحسن صورته وهندامه أمام من يدعوهم ، ذلك لأنه قدوة ، والقدوة لابد أن يضرب المثل فى حسن المظهر ، وجمال المخبر ، وصدق السلوك ، وكثيرون ، ممن يتصدون للدعوة يهملون مراعاة هذا الجانب ، ظنا منهم أن حسن المنظر من الكماليات التى لا يحتاج إليها علماء الدين ، وهم فى هذا الظن بعيدون كل البعد عن الصواب ، ذلك لأن الدين دعوة إلى الجمال ، والنظافة الداخلية والخارجية ولعل المشتغلين بالدعوة يذكرون الآثار الكثيرة التى تحث على نظافة البدن والثوب ، وخصوصاً يوم الجمعة ، فقد قال النبي ﷺ (اغتسلوا يوم الجمعة ، واغتسلوا رؤوسكم ، وإن لم تكونوا جنبا ، وأصيبوا من الطيب)[2].

وبلغ من شدة حض النبي ﷺ على النظافة بالاستحمام أن بعض الأئمة ذهب إلى ان الاغتسال واجب لصلاة الجمعة .

وعن بي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : حق على كل مسلم أن يغتسل فى كل سبعة أيام يوما ، يغسل فيه رأسه وجسده [3].

والداعية الحق يجب أن يكون نظيفا فى ثيابه ، حتى جوربه يجب أن يكون نظيفا ، فلا يخرج على الناس وبقع الدهن أو الزيت على جبته أو قفطانه أو تفوح من جسده أو

---

(١) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر – للشيخ / علي بن صالح المرشد الطبعة الأولي –عام ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م. مكتبة لينة للنشر والتوزيع دمنهور – صـ ٢٢٩ ..

(٢) رواه البخاري .

(٣) رواه البخاري ومسلم .

قدميه رائحة كريهة ، بل عليه أن ينظف ثوبه ويغسل جوربه ، ويخرج إلى الناس وهو متعطر بأجمل عطر ، ورد عن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه كان يقول : من أنفق ثلث ماله فى الطيب ما كان مسرفا .

والنبي ﷺ وهو القدوة المثلى لنا بنص القرآن الكريم حيث قال الله تعالى : " لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة"[1].

فقد كان ﷺ أجمل الخلق منظرا وأعجبهم مظهرا وأنظفهم ثوبا ، وكان يمشط شعره، ويدهن الطيب حتى تشم رائحته العطرة من بعيد ، وإذا مس أحد يده يبقى الطيب عالقا به مدة طويلة [2].

روى عن أنس بن مالك رضى الله عنهما أنه قال :

ما شممت عنبرا قط ، ولا مسكا ،ولا شيئا أطيب من ريح رسول الله ﷺ[3].

ومن هنا فإنه يجب على الداعية أن يقتدي بإمام الدعاة ﷺ بان يتعهد ثيابه وفمه حتى لا يشم أحد منه رائحة مؤذية ومنفرة ، وذلك بتنظيف أسنانه يوميا بالسواك أو بمعجون الأسنان ، روى عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ (كان لا يرقد ليلا ولا نهارا ، فيستيقظ إلا تسوك قبل أن يتوضأ)[4].

وسئلت عائشة رضى الله عنها عن اى شئ يبدأ به الرسول ﷺ إذا دخل بيته فقالت: السواك[5].

ولكن الملاحظ والمؤسف أن بعض الدعاة لا يعتنون بنظافة أبدانهم وأفواههم وثيابهم، وتراهم يذهبون إلى المساجد أو النوادى أو المحافل لوعظ الناس وتعليمهم وإرشادهم وروائحهم كريهة تؤذى مستمعيهم ، والأعجب أنهم يذكرون الأحاديث التى تحث على نظافة البدن والثوب مثل قول النبي ﷺ (من أكل البصل والثوم فلا يقربن مسجدنا ، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم)[6] .

---

(١) سورة الأحزاب آية : ٢١ .

(٢) انظر الدعوة في العهد المكي د / محمد إبراهيم الجيوشي مطبعة حسان صـ ١٦-١٧ .

(٣) رواه مسلم .

(٤) رواه احمد .

(٥) رواه البخاري ومسلم .

(٦) رواه مسلم .

ولقد أنكر النبي ﷺ أن يظهر الإنسان على الملأ بثياب وسخة ما دام قادرا على غسلها ، أشعارا منه ﷺ للمسلم بان يكون ذا هيئة حسنة ومنظر حسن روى الامام أحمد والنسائي عن جابر رضى الله عنهما انه قال :

أتانا رسول الله ﷺ زائرا ، فرأى رجلا عليه ثياب وسخة ، فقال : ما كان يجد هذا ما يغسل به ثوبه ؟ .

ومن ثم فإنه ينبغي على الداعية من باب أولى أن يحسن هيئته ويهتم بنظافة ثيابه وبدنه وفمه حتى شعر رأسه ، بحيث يكون أنيق المنظر حسن الهيئة فترتاح لرؤيا ه العيون ، وتأنس به القلوب ، خصوصاً عند لقاء الناس ، فعليه أن يتفقد نفسه قبل الخروج إليهم ، روي مكحول عن عائشة رضى الله عنها قالت كان نفر من أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرون على الباب ، فخرج يريدهم ، وفى الدار ركوة فيها ماء ، فجعل ينتظر فى الماء ويسوى لحيته وشعره ، قالت عائشة : فقلت له : يا رسول الله ، وأنت تفعل هذا ؟ قال : نعم ، إذا خرج الرجل إلى أخوانه ، فليهئ من نفسه ، فإن الله جميل يحب الجمال .

وقال ﷺ " من كان له شعر فليكرمه " .

وإكرامه الشعر يكون بتنظيفه وتمشيطه وتطييبه وتحسين شكله وهيئته .

فهذا هو إمام الدعاة ﷺ وهو سيد الزهاد ,كان ﷺ يلبس اللباس الحسن ، ويتطيب لأهله وأصحابه ،ويرى فى هذا التجمل وحسن الهيئة إظهارا لنعمة الله عليه فيقول : إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده[1].

وفى طبقات ابن سعد عن جندب بن مكيث رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قدم الوفد لبس أحسن ثيابه ، وأمر عليه أصحابه بذلك ، فلقد رأيت رسول الله ﷺ يوم قدم وفد كندة وعليه حلة يمانية وعلى أبي بكر وعمر رضى الله عنهما مثل ذلك[2].

وأخرج الطبراني والبيهقى والحاكم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : رأيت رسول الله ﷺ دعا بثياب جدد ، فلبسا ، فلما بلغت تراقيه قال : الحمد لله الذي كساني ما أوارى به عوريتي وأتجمل به حياتي .

---

(١) رواه الترمزي والحاكم .

(٢) المرجع السابق جـ صـ ٣٤٦.

وكان عبدالرحمن بن عوف رضى الله عنه يلبس البرد والحلة تساوى خمسمائة أو أربعمائة[1].

والتجمل والاعتناء بالمظهر وحسن الهيئة دون إفراط أو تفريط أمر مشروع ، وليس فيه من الكبر شئ ، كما أن رثاثة الثياب ووساخة الجسد أمر غير مشروع ، وليس من الزهد والتواضع فى شئ قال تعالى : يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون[2].

وعن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر ، فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة ؟ يعنى – أبعد هذا من الكبر ؟

قال ﷺ " إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس " [3] .

إذن :

يجب على الدعاة إذا أرادوا أن يكونوا محبوبين ومقدرين عند المدعوين أن يحسنوا من هيئتهم ومن ثيابهم بحيث يكونوا فى أحسن هيئة وأجمل مظهر ، وأكثر جاذبية دون مغالاة فى التزين وإفراط فى الأناقة ، لأن الإسلام يقوم على التوازن أى على الوسطية فى كل الأمور قال تعالى " والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما "[4].

هذه – بعض – سبل العلاج التى ترجع إلى الدعاة ، والتى أرجو أن تكون فى موضع الاعتبار والتنفيذ حتى تزول الفجوة التى بينهم ، وبين المدعوين ، ولا تزول الفجوة كاملة إلا إذا أعاد المدعوون ثقتهم فى علمائهم ودعاتهم كما كان من ذى قبل ويكون ذلك على النحو التالي .

(١) المرجع السابق جـ٣ صـ ١٣١ .

(٢) سورة الأعراف آية : ٣٢-٣٣.

(٣) رواه مسلم .

(٤) سورة الفرقان آية : ٦٨.

المبحث الثاني : سبل العلاج الخاصة بالمدعوين

وضحت فيما سبق ما يجب على الدعاة من فعله نحو أنفسهم أولا ونحو مـــدعويهم ثانيا حتى يحدث تقارب بينهم ، وفى هذا المبحث سوف نذكر سبل العلاج الخاصة بالمدعوين، والتى قد يكون لها – بفضل الله تعالى – الأثر الفعال فى سد الفجوة بينهم وبين الدعاة وهي على النحو التالى :

اولا: وضع الثقة فى العلماء والدعاة :

ينبغي على المدعوين أن يثقوا فى علمائهم ودعاتهم ، وبخاصة إذا كان هؤلاء الدعاة ممن لهم باع كبير فى شتى العلوم والمعرفة ، ولهم سمعة طيبة بين الناس فلا يجوز هدمها أو هزها وزعزعتها من اجل حطام الدنيا وزخرفها الفاني " إذ إن من الناس من يطالب العلماء – مثلا – ان يبينوا كل شئ ، فيبينوا حيثيات ما يصدرون من قرارات أو آراء أو فتاوى تتعلق بأمور الأمة العامة وهذه مطالبة فيها مخالفة للشرع والعقل ، فليس كل أمر يصلح إخبار الناس به .

روى عن على بن طالب رضى الله عنه قال :

حدثوا الناس بما يعرفون ، ودعوا ما ينكرون ، أتحبون ان يكذب الله ورســـوله[1].

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال :

ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة [2].

فالتحدث بأمر والإخبار به يمتنع عنه العلماء العقلاء إذا كان مآل التحديث مفسدة أعظم وليس هذا من كتمان العلم المنهي عنه ، فإن الكتمان المنهى عنه هو ما لم يكن لمصلحة شرعية ، اما إذا كان لمصلحة شرعية فهو مشروع [3]،

قال الامام الشاطبي رحمه الله :

وليعلم أنه ليس كل ما يعلم مما هو حق يطلب نشره ، وإن كان من علم الشريعة ، ومما يفيد علما بالأحكام ، بل ذلك ينقسم : فمنه ما هو مطلوب النشر ، وهو غالب علـــم الشريعة ، ومنه ما لا يطلب نشره بالإطلاق ، أولا يطلب نشره بالنسبة إلى حال أو وقت او شخص[4]. وضابط ذلك كما يقول – أيضا – الإمام الشاطبي رحمه الله .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب العلم : بابمن خص العلم قوما جـــ ١ صـــ ٤١ .

(٢) رواه مسلم في المقدمة جـــ ١ صـــ ١١ .

(٣) قواعد في التعامل مع العلماء صـــ ١٨٢ .

(٤) المرافقات للشاطبي جـــ ٤ صـــ ١٨٩ .

انك تعرض مسألتك على الشريعة ، فإن صحت فى ميزانها ، فانظر فى مآ لها بالنسبة إلى حال الزمان وأهله ، فإن لم يؤد ذكرها إلى مفسدة فأعرضها فى ذهنك على العقول ، فإن قبلتها ، فلك أن تتكلم فيها إما على العموم إن كانت مما تقبله العقول على العموم ، وإما على الخصوص إن كانت غير لائقة بالعموم ، وإن لم يكن لمسألتك هذا المساغ فالسكوت عنها هو الجارى على وفق المصلحة الشرعية والعقلية[1].

ويقول الدكتور / عبدالرحمن بن معلا اللويحق :

وضع ثقتك فى أهل العلم ، واعلم ان امتناعهم عن إخبار العوام ببعض الأمور ، إنما هو رجاء تحقيق المصالح ودرء المفاسد .

ومن وضع الثقة فى العلماء : العلم بأنهم أعرف بما يصلح للمتعلم من العلم ، فهو الربانيون الذين يعلمون الناس ويربونهم على صغار مسائل العلم قبل كباره ، ويبدأ ون بالأهم قبل المهم[2].

فالداعية كغيره من بقية البشر ، إذا وجد من يضع فيه الثقة ، فإنه يخلص فى دعوته ووعظة ، وبخاصة إذا كانت هذه الثقة من الحكام والمسئولين – وهم شريحة من المدعوين – إلا أنها الشريحة المهمة والأساسية فى المجتمع .

يقول الدكتور سيد سادات الشنقيطي :

وفى تصورى الشخصي أن هذا هو حجر الزاوية فى معالجة الفجوة التى بين الدعاة والمدعوين ، وليس بمستحيل ولا مستبعد متى سلمت النيات بين الدعاة وخلص العمل من الغرض والهوى وكما ورد فى الأثر " إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن " .

أتصور أن السبيل الأمثل لبناء الثقة بين العلماء والحكام ، ينبغي أن يصدر فيه عن ترسيخ قناعة أساسية هي عين الحقيقة لدى الحكام الشرعيين ، وهي أن العلماء والدعاة هم سند الحكام بعد الله وأداتهم الحقيقية فى تثبيت الحكم ، وإقامة دعائمه على الحق والعدل من خلال النصح لهم ، ووعظهم وتذكيرهم ، ونصرتهم وتأييدهم ، وجمعهم قلوب الخلق على محبتهم ، ولزوم طاعتهم فى المعروف ، وإصلاح دين الناس وفكرهم وسلوكهم ، والدعاء لهم سرا وعلنا بدوام العز ، والسؤدد ، والهداية ، لما فيه صلاحهم وصلاح أمتهم من بعدهم ، عن الطمع فى سلطانهم ، وطاعتهم ، والابتعاد عن منازلهم ومناوأتهم والكيد لهم ، وغير ذلك

(١) المرجع السابق جـ ٤ صـ ١٩١

(٢) قواعد في التعامل مع العلماء صـ ١٨٣ .

من الأمور التى تكون سببا فى شحن صدور ذوى السلطان على العلماء ، مما يلقنه شياطين الإنس فى روعهم ، والعلماء منه براء ، لكن ما هو السبيل إلى إيجاد هذه القناعة ؟ .

اعتقد أنه ربما كان على الفريقين جزء من المسئولية فى الوصول إلى النتيجة المرضية فى هذا السبيل ، يعنى الأمر بينهما مشاركة ، فزهد بعض العلماء وورعهم ، وخوفهم على دينهم له دخل فى الحيلولة بينهم وبين إحسان الصلة بذوي السلطان ، وهذا فى نظرى خلل ينبغي أن يعالجه العلماء بالحكمة والأسلوب المناسب حتى يسدوا – على من يريد إفساد العلاقة السوية التى ينبغي أن تسود بين العلماء بالحكمة والأسلوب المناسب حتي يسدوا – علي من يريد إفساد العلاقة السوية التي ينبغي أن تسود بين العلماء والحكام – المنافذ الشيطانية التي يدخلون منها خاصة وأن العلم الذي يملأ صدورهم ، ويمدهم بمعين لاينضب ، من الحكمة والبصيرة ، وهم إن شاء الله راغبون وفاعلون ، لأن ذلك هو مقتضي إمامتهم في الدين ، وسبيل من سبل تحقيق مرضاة الله عنهم .

ثم يستطرد قائلاً :ـ

أما مايتعلق بجانب الحكام وذوي السلطان ، فإنهم قد يكونون سببا في تعميق الفجوة بينهم وبين العلماء ، من خلال ما قد يكون من تعال ، أو قصور في فتح القنوات المناسبة مع العلماء ، أو بالسماح للوشاة والحاسدين والمغرضين ، لأن يفسدوا عليهم العلاقة السوية بينهم وبين العلماء بتخويفهم منهم وتحريضهم عليهم ، وغير ذلك من صور الشرور والبهتان التي يتوسل بها أصحاب الأغراض الفاسدة إلي غايتهم الدنيئة ، والحكام وذوو السلطان غير عاجزين عن إزالة هذه الأمور جميعاً من طريق الوئام والمحبة بينهم وبين العلماء ، بل إنهم بشيء من العناية والرعاية للعلماء يفسدون ، علي المبطلين سعيهم ، في إفساد العلاقة بين الطرفين ، وأنا علي يقين بأن رغبتهم في إحسان العلاقة لاتقل عن رغبة العلماء ، لأنهم يعرفون قبل غيرهم قيمة هذه العلاقة بالنسبة لتوطيد الحكم واستقراره ، وهم غيرمتهمين في الاهتمام بمصلحة الحكم ، والعلماء يشاركونهم الغيرة علي مصلحة الحكم الشرعي ، ويدركون واجبهم تجاة المحافظة علي سلامته ، ومن ثم يقومون بواجبهم تجاه ولاة الأمور من نصح وتسديد ، ومجاهرة بالحق .

وما من شك أنه متي صح العزم للطرفين ، وصدقت النيات ، ووجدت القناعة بأهمية الثقة بينهما لإصلاح الحياة ورقيها ، فإن كلا منهما لا محالة واجد سبيله لإحسان العلاقة وتوحيدها ، تحقيقاً لمصلحة الأمة فرعاية الفريقين لحقوق كل منهم علي الآخر ،

والقيام بها علي الوجه الذي يرضي الله يصلح ما انثلم من العلاقة بينهما ، وبه يمتد حبل الود، وتصفو المحبة ، ويعود للعلاقة ماؤها وصفاؤها أيام كانت من غير شائبة ، ولعل مخافة الله من الطرفين هي الجذوة التي توقد في النفوس أسباب إحياء هذه العلاقة علي الصورة السوية التي كانت عليها من ذي قبل .(١) يقول الأستاذ محمد عبد القادر :

" فسبيل الإصلاح فيما أراده إنما يتمثل في وجوب إعادة اللحمة بين هاتين الفئتين ، فئة الولاة ، وفئة العلماء والدعاة ، وإحياء ما كان عليه السلف الصالح من خلفاء الأمة الإسلامية وعلمائها وفقهائها ، لكي يعلم الدعاة في أيامنا هذه أن أي جسر يمد بين حكام الأمة وعلمائها الصالحين الثقات ، وإنما هو في صالح الأمة ، وخيرها إنما هو بإعادة الصلة بين الحكام والدعاة "(٢)

فالأمة فعلا في حاجة ماسة إلي أصلاح ذات البين وخاصة بين العلماء والحكام ، والفريقان بحاجة إلي وقفة صادقة مع النفس وعرضها علي كتاب الله وسنة رسوله كي تسموا وتزكوا ، وترقي وترتفع ، وكل منهما مسئول ومحاسب بين يدي الله علي ما أؤئمن عليه ، فالناس تبع لقادتهم سواء كانوا قادة ملك أم قادة علم "(٣)

فإذا تعاون الفريقان علي قيادة الحياة بما يرضي الله سبحانه وتعالي ، وحرص كل واحد منهما علي رعاية حقوق الطرف الآخر وحقوق عامة الناس التي يشتركون في المسئولية عنها ورعاية حقوق الله قبل ذلك ، أمكن عندئذ أن تتألف القلوب ، ويتسني لكل منهم أن يقوم بواجبه أحسن قيام .(٤)

يقول الشيخ محمد حسان :ـ

إن الأمة في امس الحاجة هذه الأيام إلي دعاة تتجمع عليهم القلوب ، وتتألف حولهم النفوس ، دعاة ينطلقون من فهم صحيح ثابت لكتاب الله وسنة رسوله لتبصرة المسلمين بحقيقة دينهم ، من ناحية ، وتحذيرهم من المؤامرات التي تحاك لهم في الليل والنهار

(١) انظر من قضايا الرأي العام – العلاقة بين العلماء والناس ص١٠٩ – ١١٣ بتصرف يسير

(٢) نحو دعوة رشيدة ص ٢٦٢-٢٦٣

(٣) تزكية النفس – أبو البراء سعد بن محمد – بدون ص ٤

(٤) من قضايا الرأي العام ص ١١٥-١١٦

من ناحية أخري .... وإمامهم هو إمام الهدي ومصباح الدجي محمد ﷺ ، ومن سار علي دربه من العلماء العاملين والدعاة الصادقين (١)

فهؤلاء هم عدة الأمة في مكافحة الحركات الفكرية المنحرفة والدعوات الضالة ، ذلك أن كثيراً من الانحرافات الشائعة هي في الحقيقة نتيجة الجهل بحقائق الدين وتعاليمه ، والعلاج إنما هو بنشر الفقه الصحيح بأحكام الله بدليله من الكتاب والسنة مع تنمية الإخلاص لله ، وتهذيب الحماس ونبذ الهوي والتحزب لغير الحق (٢)

والعلماء لن يتمكنوا من القيام بهذه المهمة في غياب الثقة بهم من الحكام وغيرهم من عامة الناس ، لذلك فإن الأمة – كما هي بحاجة إلي هؤلاء العلماء الدعاة – بحاجة كذلك من الحكام علي درجة من الصلاح تجعلهم أداة تمكين لدين الله في القلوب ، وسندا قويا للعلماء الصالحين، فالله نسال أن يمكن للحق في نفوس الجميع ، وأن يجعلنا هداة مصلحين.(٣)

ومن المؤكد أنه متي ما حصلت الثقة بين الحكام والعلماء ، وإتاحة الفرصة للعلماء بالقيام بواجبهم تجاه إصلاح الحياة فإنهم حينئذ سيكونون موضع ثقة عامة الناس واحترامهم ، وتقديرهم وإجلالهم ، ويعود للعلاقة بين الدعاة والمدعوين سابق عهدها من الود والصفاء والتعاون علي البر والتقوي حيث يشعر كل من الدعاة والمدعوين أن لهم شأنا ودورا مهما في الحياة يحتاج إليه في إقامة صرح الحياة الإسلامية ، بل والدعوة لدين الله ، والإقناع به ، حيث تتجسد حقيقة الدين واقعا حيا في الحياة يشهد بصلاحية الدين لإدارة دفة الحياة إدارة صحيحة سليمة تثمر رقيا وسؤددا واستقراراً ورخاء وأمنا لجميع بلاد العالم الإسلامي .(٤)

ثانيا : من سبل العلاج تطهير وسائل الأعلام في العالم الإسلامي ، من تشويه لصوره العلماء والدعاة : يقول الدكتور / سيد محمد ساداتي الشنقيطي :ـ

المدقق في واقع استخدام وسائل الأعلام في العالم الإسلامي ، مدرك دون ريب طبيعة الفجوة ، بين المسئولين في هذه الأجهزة وبين العلماء علي مستوي العالم الإسلامي أو

---

(١) خواطر علي طريق الدعوة – جراح وإفراح دار المسلم بالرياض الطبعة الأول عام ١٤١٤هـ – ص٩ وانظر من قضايا الرأي العام ص١١٦-١١٧

(٢) قضية وحوار ص ٦٥ ، من قضايا الرأي العام ص ١١٧

(٣) من قضايا الرأي العام ص ١١٧

(٤) المرجع السابق ص ١٢١

ضعف العلاقة بينهما ، مع ما ينبغي أن تكون عليه باعتبار أن العلماء هم مصدر مادة وسائل الأعلام ، إذا ما أريد لهذه الوسائل أن تكون ذات قيمة في ذاتها ، وذات شأن في حياة المسلمين وذلك لأسباب قد لاتكون خافية علي كثير من المهتمين بالشأن العام. (١)

ثم يقول في موضع آخر :ـ

فوسائل الإعلام في أغلب بلدان المسلمين لم تؤسس علي تقي من الله لغياب الإسلام عن ساحة الحياة فيها ، بل لغياب المسلمين عن الإسلام ، ونشأتها نشأة منبتة الصلة بالله ، والأعراف المهينة التي صاحبت استخدامها هناك ، قدمتها للمسلمين بصورة أدت إلي نفور كثير من الغيورين علي دينهم ، منها مالا بس تلك الصورة من دنس ، ورجس كما أن أنظمة الأعلام في العالم الإسلامي لم تكن قادرة علي القيام بدور الأصالة والمعاصرة في العطاء الإعلامي لها ، بحيث تعيد للمسلمين ثقتهم في أنفسهم وقدرتهم علي قيادة الحياة في شتي مجالاتها .(٢)

بل أن وسائل الأعلام في كثير من بلدان العالم الإسلامي أسهمت بنصيب وافر في التقليل من شان العلماء ، من خلال تركيزها علي إبراز قادة جدد يتولون مهمة العلماء من حيث كونهم موضوعا للإقتداء ، حيث بوأتهم مكان الصدارة في المجتمع ، وفتحت أبوابها أمامهم مثل الرياضيين أو من يسمونهم نجوم الفن في الوقت الذي حدث فيه من ظهورالعلماء بالصورة المطلوبة وكذلك من خلال إنتاج مواد تمثل لمزا للعلماء من طرف خفي ، مما أسهم في انصراف الناس عن العلماء ، وقلل من ارتباطهم بهم ، وتوجههم إلي الوجهة التي تصرفهم وسائل الإعلام إليها .

فلو أن وسائل الأعلام وبخاصة الوسائل المرئية في العالم الإسلامي أعيد بناؤها ، وترتيب أدائها بحيث تصبح أدوات يسعي المسلمون لإقامتها ، لكان العلماء أول المقبلين عليها ، لطاقتها ، وإمكاناتها الكبيرة في الانتشار والسرعة والجاذبية ، ولأصبحت أدوات حقيقية بأيديهم تمكنهم من بلوغ أهدافهم في الإبلاغ بدين الله ونشر إعلام الهداية خفاقة في العالمين. (٣)

---

(١) انظر الرأي العام في ضوء الإسلام ص ١٢٩

(٢) انظر مدخل إلي الاعلام ص ٥٤

(٣) انظر : مكانة وسائل الاعلام الجماهرية في تحقيق وحده الأمة ص ١٢٣ وما بعدها وانظر من قضايا الرأي العام ص١٢٤-١٢٥

عندئذ ستكون وسائل الأعلام أداة حقيقة في توثيق صلة عامة الناس بالدعاة ، لأنها ستتيح لهم التعرف علي عملهم وفضلهم ، ومبلغ احتياجهم إليهم في مواجهة ظروف الحياة المتجددة والمتقلبة ، وستمكنهم من الانتفاع بما يقدمه العلماء من حلول ومقترحات لمواجهة المستجدات التي تحتاج إلي تكييف شرعي تصح به حركة الناس ، وستكشف للناس حقيقة المساعي الخيرة التي يقوم بها العلماء والدعاة في سبيل تخفيف معاناة الناس ، في مواجهة سبل مشكلات الحياة اليومية في جوانبه المختلفة ، مما يصعب علي الناس خوض غماره بعيداً عن الفتاوي الشرعية التي تصدر عن العلماء في كل حادثة ، وكل معضلة يتعرض لها الناس (١)

ومن هنا فإننا ندرك مدي أهمية إصلاح وتطهير وسائل الإعلام في العالم الإسلامي في سبيل إصلاح العلاقة بين الدعاة والمدعوين ، وإعادتها إلي ما كانت عليه من سلامة وصحة في عصور المسلمين السابقة من حيث كونها أدوات حقيقية لإحسان الصورة الذهنية عن العلماء والدعاة (٢)

ثانياً :- محبة الدعاة إلي الله تعالي وموالاتهم من السنة :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالي :

يجب علي المسلمين بعد موالاة الله تعالي ورسوله ﷺ موالاة المؤمنين كما نطق به القرآن خصوصا العلماء الذين هم ورثة الأنبياء ، الذين جعلهم الله بمنزلة النجوم يهتدي بهم في ظلمات البر والبحر ، وقد اجمع المسلمون علي هدايتهم ودرايتهم (٣)

ولقد جعل السلف محبة الرجل علماء بلده من أهل السنة ، قال ابن المديني – في سياق بيان السنة التي من ترك منها خصلة لم يقلها أو يؤمن بها لم يكن من أهلها :-

((إذا رأيت الرجل يعتمد من أهل البصيرة علي أيوب السختياني ، وابن عون ويونس والتيمي ويحبهم ويكثر ذكرهم والاقتداء بهم فارج خيره ، ثم من بعد هؤلاء حماد بن سلمة ، ومعاذ بن معاذ ، ووهب بن جرير فإن هؤلاء محنة أهل البدع .

وإذا رأيت الرجل من أهل الكوفة يعتمد علي طلحة بن مصرف ، وابن حجر ، وأبي حيان التيمي ، ومالك بن مغول وسفيان بن سعيد الثوري ، وزايده فارجه .

---

(١) المرجع السابق ص ١٢٥

(٢) المرجع السابق ص ١٢٦

(٣) رفع اللام عن الأئمة الأعلام لابن تيمية ص ١١

ومن بعدهم عبد الله بن إدريس ومحمد بن عبيد ، وابن أبي عتبة المحاربي فأرجه))(١) فأرجه أي أرج له الخير .

ولايجوز لمسلم أن يخص أحدا من العلماء والدعاة بمزيد من المحبة والموالاة إلا بحسب إيمانه ، وتقواه وعلمه ، أو لأجل ما أسدي إليه من معروف مثل : تعليمه ، أو توجيهه أو نحو ذلك .(٢)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :ـ

وليس لأحد أن ينتسب إلي شيخ يوالي علي متابعته ، ويعادي علي ذلك ، بل عليه أن يوالي كل من كان من أهل الإيمان ، ومن عرف منه التقوي من جميع الشيوخ وغيرهم .

ولايخص أحدا بمزيد موالاة إلا إذا ظهر له مزيد إيمانه وتقواه ، فيقدم من قدم الله ورسوله عليه ، ويفضل من فضله الله ورسوله .(٣)

ثالثا : توقير العلماء واحترامهم من السنة :ـ

ينبغي علي المدعوين احترام الدعاة والعلماء وتوقيرهم ، وهذا من الدين قال رسول الله ﷺ ((ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ، ويأمر بالمعروف ، وينه عن المنكر ، ويعرف لعالمنا حقه)). (٤)

وقال طاووس بن كيسان رحمه الله :ـ

من السنة أن يوقر أربعة : العالم ، وذو الشيبة ، والسلطان ، والوالد (٥)

بل إن تقدير العالم وإجلاله ، ولما يحفظه من القرآن العظيم لله تعالي ، روي عن أبي موسي الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : إن من إجلال الله تعالي : إكرام ذي الشيبة المسلم ، وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه ، وإكرام ذي السلطان المقسط.(٦)

يقول الشيخ عبد الرحمن بن معلا اللويحقي في كتابه القيم قواعد التعامل مع العلماء مانصه :ـ

(١) قواعد في التعامل مع العلماء ص ٧٥- ٧٦

(٢) المرجع السابق ص ٧٧

(٣) الفتاوي جـ ١١ ص ٥١٢

(٤) رواه الترمذي في سننه كتاب : البر والصلة ؟ باب ماجاء في رحمته الصبيان جـ ٣ ص ٢١٥ - ٢١٦

(٥) ذكره البغوي في شرح السنة جـ ١٣ ص ٤٣

(٦) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله جـ ١ ص ٨٦

((ولقد كان سلف هذه الأمة يحترمون علماء هم احتراما كبيراويتأدبون معهـــم ، فلقد أخذ عبد الله بن عباس رضي الله عنهما – مع جلالة قدره ، وعلو رتبته بركاب زيـــد بن ثابت الأنصاري وقال : (هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا وكبرائنا))) [1]

وقال ابن عباس رضي الله عنهما :ـ

أقبلت علي المسألة وتتبع أصحاب رسول الله ﷺ ، فإن كنـــت لآتي الرجـــل في الحديث يبلغني أنه سمعه من رسول الله ﷺ فأجده قائلا فأتوسد ردائي علي بابه تسفي الريح علي وجهي حتي يخرج ، فإذا خرج قال : يا ابن عم رسول الله ﷺ مالك ؟ فأقول : بلغني حديث عنك أنك تحدثه عن رسول الله ﷺ ، فأحببت أن سمعه منك ، قال : فيقول : هـــلا بعثت إلي حتي آتيك ، فأقول : أنا أحق أن آتيك .[2]

وقال الامام أحمد بن حنبل رحمه الله لخلف الأحمر :

لا أقعد إلا بين يديك أمرنا أن نتواضع لمن نتعلم منه .

ولما جاء الامام مسلم بن الحجاج رحمه الله إلي الأمام البخاري ، وقبل بين عينيـــه وقال : دعني حتي أقبل رجليك يا أستاذ الأساتذين ، وسيد المحدثين ، وطيـــب الحـــديث في علله.[3]

ولقد كان من تمام احترام السلف لعلمائهم أنهم كانوا يهابونهم ، فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : مكثت سنتين أريد أن أسال عمر بن الخطاب عن حديث مـــا منعني منه إلا هيبته . [4]

ولقد أكثر أهل العلم من الكلام عن أسلوب التعامل مع العالم والمتعلم ، ومن أجمع ماروي في ذلك ما قاله الأمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه :

إن من حق العالم ألا تكثر عليه السؤال ، ولا تعنته في الجواب ، وأن لا تلح عليـــه إذا كسل ، ولا تأخذ بثوبه إذا نهض ، ولاتفشين له سرا ، ولا تغتابن عنده أحداً ، وإن زل

(١) رواه ابن كثير في البداية والنهاية جـــ ١١ ص ٣٤٠

(٢) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله جـــ ١ ص ١١٢

(٣) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله جـــ ١ ص ١١٢

(٤) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله جـــ ١ ص ١١٢

قبلت معذرته وعليك أن توقره ، وتعظمه لله ما دام بحفظ أمر الله ، ولا تجلس أمامه ، وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلي خدمته .[1]

وقال رضي الله عنه أيضا : من حق العالم عليك إذا أتيته أن تسلم عليه خاصة ، وعلي القوم عامة ، وتجلس قدامه ولاتشر بيديك ولا تغمز بعينيك ولاتقل قال فلان خلاف قولك ، ولا تاخذ بثوبه ، ولاتلح عليه في السؤال ، فإنه بمنزلة النخلة المرطبة ، لا يزال يسقط عليك منها شيء. [2]

وهكذا يجب أن يكون احترام العلماء والدعاة ، والتاديب معهم ، وإنزالهم المكانة اللائقة بهم .

رابعا: التماس العذر للعلماء إن أخطئوا :ـ

ينبغي علي المدعوين أن يراعوا أن الدعاة كغيرهم من البشر ، يصيبون ويخطئون ، وإنه ليس أحد من الناس معصوما عن الخطأ إلا الأنبياء عليهم السلام فيما يبلغون عن الله عز وجل ، فالخطأ طبيعة بشرية ، والناس في ذلك صنفان :ـ

١- صنف يخطيء ، وخطؤه قليل أو غير مقصود بالنسبة لصوابه ، فالأصل فيه تحري الصواب .

٢- وصنف يصيب وصوابه قليل أو غير مقصود بالنسبة لخطئه ، فالأصل فيه الوقوع في الخطأ والانحراف عن الحق .

والعلماء المعتبرون في هذه الأمة من الصنف الأول فإنهم – في مجملهم – عدول كمادلت الآيات القرآنية علي ذلك فالدعاة والعلماء هم خيار هذه الأمة .[3]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :ـ

((كل أمة قبل مبعث نبينا محمد –ﷺ فعلماؤها شرارها إلا المسلمين فإن علماءهم خيارهم ، فإنهم خلفاء الرسول –ﷺ في أمته ، والمحيون لما مات من سنته ، بهم قام الكتاب وبه قاموا ، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا .[4]

(١) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله جـ ١ ص ١٢٩

(٢) المرجع السابق جـ ١ ص ١٤٦

(٣) قواعد في التعامل مع العلماء ص ١٣١

(٤) قواعدفي التعامل مع العلماء ص ١٣١

وإذا كان علماء هذه الأمة كذلك ، فإنه يجب أن يغتفر قليل خطئهم في كثير صوابهم ، ويعتبر بالغالب من حالهم .[1]

قال سعيد بن المسيب رحمه الله :-

((ليس من عالم ولا شريف ولا ذي فضل إلا وفيه عيب ، ولكن من كان فضله أكثر من نقصه ، ذهب نقصه لفضله كما ان من غلب عليه نقصانه ذهب فضله .[2]

ونقل ابن عبد البر رحمه الله – عن بعض السلف قوله :-

((لا يسلم العالم من الخطأ ، فمن أخطأ قليلا ، وأصاب كثيراً فهوعالم ، ومن أصاب قليلا ، وأخطأ كثيراً فهو جاهل))[3]

وقال الإمام سفيان الثوري رحمه الله :

ليس يكاد يفلت من الغلط أحد ، إذا كان الغالب علي الرجل الحفظ فهو حافظ وإن غلط ، وإذا كان الغالب عليه الغلط ترك .[4]

وقال أبو حاتم ابن حبان رحمه الله :-

وليس من الإنصاف ترك حديث شيخ ثبت صحت عدالته بأوهاوم يهم في روايته ، لو سلكنا هذا المسلك للزمنا ترك حديث الزهري ، وابن جريح والثوري وشعبة ، لأنهم أهل حفظ وإتقان ، وكانوا يحدثون من حفظهم ولم يكونوا معصومين حتي لايهموا في الروايات ، بل الاحتياط والأولي في مثل هذا قبول ما يروي الثبت من الروايات ، وترك ما صح أنه وهم فيه ما لم يفحش ذلك منه حتي يغلب علي صوابه ، فإن كان كذلك استحق الترك حينئذ .[5]

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله :-

((.... ومن له علم بالشرع والواقع يعلم قطعا أن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدم صالح وآثار حسنة وهو من الإسلام وأهله بمكان قد تكون منه الهفوة والزلة هو فيها معذور بل مأجور لا جتهاده ، فلا يجوز أن يتبع فيها ، ولايجوز أن تهدر مكانته ، وإقامته في قلوب المسلمين .[6]

---

(١) رواه ابن عبد البر في جامع مع بيان العلم وفضله جـ ٢ ص ٤٨

(٢) المرجع السابق جـ ٢ ص ٤٨

(٣) المرجع السابق جـ ٢ ص ٤٨

(٤) رواه الخطيب في الكفاية ص ١٧٤

(٥) الثقاب ٩٧/٧-٩٨

(٦) إعلام الموقعين ٢٨٣/٣

وقال أيضا ((.... فلو كان كل من أخطأ أو غلط ترك جملة وأهدرت محاسنه لفسدت العلوم والصناعات والحكم وتعطلت معالمها [1]

وقال الإمام الذهبي رحمه الله في ترجمة محمد بن نصرالمروزي :ـ

ولو أنا كلما أخطأ إمام في اجتهاده في أحاد المسائل خطأ مغفوراً له ، قمنا عليه وبدعناه ، وهجرناه ، لما سلم معنا لابن نصر ولا ابن منده ، ولا من هو اكبر منهما ، والله هو هادي الخلق إلي الحق وهو أرحم الراحمين ، فنعوذ بالله من الهوي والفظاظة [2]

وقال أيضا في ترجمة الإمام ابن خزيمة رحمه الله :ـ

ولو أنا كل من أخطأ في اجتهاده – مع صحة إيمانه وتوخيه لاتباع الحق – أهدرناه وبترعناه ، لقل من يسلم من الأئمة معنا رحم الله الجميع بمنه وكرمه [3]

وهذه النظرة – أي نظرة الموازنة بين السيئات والحسنات – ليست مبتدعة ، بل هي نظرة سنية سلفية جري عليها عمل الرسول ﷺ وصحبه الكرام ، ومن أظهر الأدلة علي ذلك قصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه ونصها مايلي :ـ [4]

روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : بعثني رسول الله ﷺ وأبا مرثد والزبير وكلنا فارس قال : انطلقوا حتي تأتوا روضة خاخ فإنها امرأة من المشركين معها كتاب من خاطب بن أبي بلتعة إلي المشركين فأدركناها وهي تسير علي بعير لها ، حيث قال رسول ﷺ ، فقلنا : الكتاب ، فقالت : ما معي من كتاب ، فأنخناها فالتمسنا فلم نر كتابا ، فقلنا : ما كذب رسول اللهﷺ لتخرجن الكتاب أو لنجردنك ، فلما رأت الجد أهوت إلي حجزتها – وهي متحجزة بكساء – فأخرجته فأنطلقنا بها إلي رسول الله – ﷺ – فقال عمر: يارسول الله ، قد خان الله ورسوله والمؤمنين ، فدعني لأضرب عنقه ، فقال النبي ﷺ : ماحملك علي ماصنعت ؟ قال حاطب : والله مابي أن لاأكون مؤمنا بالله ورسوله – ﷺ – أردت أن تكون لي عند القوم يدفع الله بها عن أهلي ومالي وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله ، فقال ﷺ ((صدق ولا تقولوا له إلا خيرا)) فقال عمر رضي الله عنه : إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني لأضرب عنقه ،

(١) مدراج السالكين ٣٩/٢

(٢) سير اعلام النبلاء ٤٦/٥

(٣) المرجع السابق جـ ١٤ ص ٣٧٤

(٤) انظر قواعد التعامل مع العلماء ص ١٣٥

فقال : أليس من أهل بدر ؟ لعل الله اطلع علي أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم ، فقد وجبت لكم الجنة أو فقد غفرت لكم ، فدمعت عينا عمر ، وقال : الله ورسوله أعلم [1]

فعلي الرغم من خطورة ما فعله حاطب ابن أبي بلتعة رضي الله عنه وهي خيانة عظمي عقوبتها في الوقت الحالي الإعدام إلا أن النبي ﷺ التمس له العذر ، وذلك لما علم من إيمانه ، وبخاصة أنه من أهل بدر ، فكذلك يجب علي الناس أن يلتمسوا للدعاة المخلصين العاملين أعذارهم وأن يصفحوا عن زلاتهم ، وأن يحسنوا بهم الظن ، فإحسان الظن بالمسلمين خلق نبيل يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه ((لا تظن بكلمة خرجت من أخيك المسلم سوءًا ، وأنت تجد لها في الخير محملا))[2]

وقال محمد بن سيرين رحمه الله :ـ

إذا بلغك عن أخيك شيء فالتمس له عذرا ، فإن لم تجد فقل : لعل له عذرا.

وقال أبو قلابة رحمه الله :ـ

إذا بلغك عن أخيك شيء تكرهه فالتمس له العذر جهدك ، فإن لم تجد له عذرا فقل في نفسك لعل لأخي عذراً لا أعلمه [3]

وهذا كلام في العلاقات الأخوية فما البال بعلاقة الأمة مع الدعاة والعلماء ؟

فهذا من باب أولي .

خامسا : الحذر من القدح في العلماء والدعاة وتخطئتهم بغير علم :ـ

إن الطعن في الدعاة والقدح فيهم سبيل من سبل أهل الزيغ والضلال ، ذلك أن الطعن في العلماء والدعاة ليس طعنا في شخصهم ، وإنما هو قدح وطعن في الدين ، والدعوة التي يحملونها ، وهذا أمر محرم شرعا لأنهم من المسلمين والرسول ﷺ يقول :ـ

إن دماء كم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام ، كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا [4]

---

(١) رواه البخاري – كتاب الجهاد ، باب الجاسوس جـ ٣ ص ١٩ وكتاب المغازي باب فضل من شهد بدر جـ ٥ ص ٨٩

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية جـ ٢ ص ٢٨٥

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية ج ـ ٢ ص ٢٨٥

(٤) روه البخاري كتاب الحج ، باب الخطبة أيام مني جـ ٢ ص ١٩١ ورواه مسلم كتاب الحج : باب حجة النبي ﷺ جـ ٢ ص ٨٨٩

ويزيد هذا الطعن حرمة إذا كان طعنا في الدعاة ، لأنه – كما قلت – طعن وقدح في الدين ، وهذا ما يخطط له أعداء الدين الإسلامي لأنهم يقولون : إذا استطعنا تحجيم دعاة الإسلام ووصلنا إلي فقد الثقة بينهم وبين عامة المسلمين ، استطعنا القضاء علي الإسلام ، وذلك لأن الإسلام في نظرهم هو العدو اللدود ، يقول المنصر جاردنر : إن القوة التي تمكن في الإسلام هي التي تخيف أوربا (١)

من أجل هذا يعملون علي إضعاف هذا الدين في نفوس معتنقيه لأجل أن يتخلوا عنه ، ولا يستطيعون ذلك إلا عن طريق علمائه ودعاته ، فإذا وجدوا فجوة بين الدعاة والمدعوين وذلك يفقد ثقة المدعوين في دعاتهم ، استطاعوا نزع العقيدة الإسلامية من نفوسهم ، وهذا ما يهدفون إليه ، بل إن هذا الهدف ، هو أهم الأهداف عندهم ، ومن هنا فعلي المسلمين أن يحافظوا علي دعاتهم ، ولايطعنون فيهم بغير تثبت للأمور قال تعالي : يا أيها الذين أمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا علي مافعلتم نادمين .(٢)

بل ولا يجوز الاستخفاف بالعلماء والدعاة قال الامام عبد الله بن المبارك –رحمه الله:

حق علي العاقل أن لا يستخف بثلاثة : العلماء والسلاطين ، والإخوان ، فإنه من استخف بالعلماء ذهبت آخرته ، ومن استخف بالسلطان ذهبت دنياه ، ومن استخف بالإحوان ذهبت مروؤته .(٣)

والطعن في العلماء إيذاء لهم ، والإيذاء للعلماء إيذاء لأولياء الله الصالحين ، فإن العلماء المخلصين يدخلون دخولا أوليا في وصف الأولياء الصالحين .

وهذا معني أن إيذاء الدعاة إلي الله تعالي أمر خطير ، لأن من عادي وليا لله فقد آذنه الله بالحرب فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ في الحديث القدسي " من عادي لي وليا فقد آذنته بالحرب " (٤)

---

(١) التبشير والاستعمار في البلاد العربية د / مصطفي الخالدي ، د/ عمر فروخ– المكتبة العصرية بيروت ص ٣٦

(٢) سورة الحجرات آية : ٦

(٣) سير اعلام النبلاء للذبي جـ ١٧ صـ ٢٥١

(٤) رواه البخاري كتاب الرقائق باب التواضع جـ ٧ صـ ١٩٠

فعلي المسلم الحق ألا يستهزيء بالعلماء وألا يطعن فيهم ، وألا يغتابهم ، فغيبة الناس عامة حرام ، وغيبة العلماء أشد حرمة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم : قال : ذكرك أخاك بما يكره ، قيل : أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال : إن كان ماتقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته .(١)

وقال الإمام الحافظ ابن عساكر الدمشقي رحمه الله :ـ

((واعلم يا أخي وفقنا الله وإياك لمرضاته ، وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته : أن لحوم العلماء مسمومة ، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة ، لأن الوقيعة فيهم بما هم منه براء أمره عظيم ، والتناول لأعراضهم بالزور والافتراء مرتع وخيم ، والاختلاف علي من اختاره الله منهم لنشر العلم خلق ذميم (٢)

وأيضا لايجوز أن يجترأ عامة الناس أو إنصاف المثقفين علي أولي العلم ، لأنه من المؤسف حقا أن بعض إنصاف المثقفين قليل البضاعة في أمور الدين يتجرئون علي رموز العلماء علي صفحات الجرائد والمجلات يريدون الشهرة الفانية علي حساب العلماء ، فيقذفون أقوالا لا يدرون مداها ، حيث يقول بعضهم : فلان لا يعتد بتصحيحه ، وفلان لا يقبل رأيه ، وقد يكون هذا الكلام فيه صدق ، ولكنه يجب ألا يقوله عند عامة الناس أو التشهير علي صفحات الجرائد والمجلات .

نعم إن العلماء – كغيرهم – يخطئون ، ولكن ذيوع هذا الخطأ ونشره علي مستوي عالمي فيه مزلقان خطيران :ـ

الأول :ـ قد يكون هذا الاتهام بالخطأ غير صحيح ، فيخطئهم المخطيء فيما هم فيه مصيبون ، أو يتهمهم بما ليس فيهم .

إذ إن من الناس من تأخذه العجلة ، فيحمل كلام الناس علي الشر والخطأ ، وكما يقولون .

وعين الرضا عن كل عيب كليلة .... كما أن عين السخط تبدي المساويا

(١) رواه مسلم كتاب البر والصلة باب تحريم الغيبة جـ ٤ ص ٢٠٠

(٢) تبيين كذب المفتري صـ ٢٨ نقلا من كتاب قواعد في التعامل مع العلماء صـ ١٠٥ .

ومن الناس من يكون إنكاره علي عالم بسبب جهله بحال ذلك العالم ، فيسمع منه شيئا محتملا أو مجملا ، ويجهل أشياء مبينة لتلك المجملات المحتملات ، أولا يرجع إلي العالم فيها ، فيطير بالأمر الذي سمع كل مطار ، علي انه خطأ شنيع ، وجرم فظيع .(١)

ومن الناس اليوم من يخطيء العلماء لجهلهم –كما يقول بالواقع ، وهذه دعوي لايصلح إطلاقها علي العلماء ، فهي دعوي غير صحيحة ، إذ العلماء في مجملهم ، أعرف الناس بالواقع ، فأكثر من يستمع إلي المشكلات والأمور التي تعرض للناس في الجوانب الاجتماعية والسياسية والأقتصادية هم العلماء .

يقول الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله تعالي – في الكلام عن اتهام العلماء بالجهل بالواقع :

الواجب علي المسلم أن يحفظ لسانه عما لاينبغي ، وألا يتكلم إلا عن بصيرة ، فالقول بأن فلانا لم يفقه الواقع هذا يحتاج إلي علم ، ولا يقوله إلا من يقول هذا جزافا ، ويحكم برأيه علي غير دليل فهذا منكر عظيم لايجوز .

والعلم بأن صاحب الفتوي لم يفقه الواقع هذا يحتاج إلي دليل ولا يتسني ذلك إلآ للعلماء (٢)

الثاني :ـ أن يحكم بالخطأ علي العالم غير العالم فيبني الشخص تخطئته للعالم علي جهل ، فيقول علي الله تعالي وخلقه بلا علم ، ومرد الحكم علي زلات العلماء ليس إلي العوام وأنصاف المتعلمين ، وإنما هو إلي العلماء ، فذلك كما يقول الامام الشاطبي رحمه الله :

من وظائف المجتهدين فهم العارفون بما وافق أو خالف ، وأما غيرهم فلا تمييز لهم في هذا المقام (٣)

إن بعض الناس قالوا : إنهم اشتكوا إلي بعض أهل العلم في بلدهم ما يجدون من انحرافات ، فنصحهم العالم ودعاهم إلي الصبر وقال : أنه ليس زمان إلا والذي بعده شر منه، وأمرهم بالحرص علي الدعوة والإصلاح بالوسائل الشرعية الممكنة ، ولكن لم تعجب هؤلاء النصيحة وخطئوا هذا العالم الذي أمرهم بالصبر وقال لهم بتتابع الشرور .

(١) قواعد في التعامل مع العلماء ص ١٠٧

(٢) انظر مجلة رابطة العالم الاسلامي في عدد ٣١٣ وانظر قواعد التعامل العلماء ص ١٠٨

(٣) المرافقات جـ ٤ ص ١٧٣

وهذا الأمر الذي خطأ الناس فيه العالم ليس بخطأ ، لأن هذا واقع وله سند شرعي ، حيث حدث مثل هذا الموقف لقوم مع عالم من كبار الصحابة ، وهو أنس بن مالك رضي الله عنه (١)

روي عن الزبير بن عدي رضي الله عنه قال : جئنا إلي أنس بن مالك رضي الله عنه فشكونا إليه ما نجد من الحجاج ، فقال : اصبروا فإنه لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه حتي تلقوا ربكم ، سمعته من نبيكم ﷺ (٢)

ومن هنا فإنه لايجوز لعامة الناس أن يخطئوا العلماء والدعاة بغير علم ، أو باجتهاد منه دون سند أو دليل شرعي ، وإن أخطأ العالم – وهذا شيء وارد – فلا يجوز فضحه علي الملأ ، بل عليهم أن ينصحوه بلطف ورفق سرا ، وهذا لاشك أنه سيوجد بينهم ألفة ومودة ، ويحدث تقارب بينهم ، وهذا ما قصدناه من تأليف هذا الكتاب .

وإني لعلي يقين ، أن المدعوين والحكام والمسئولين لو أرجعوا ثقتهم في علمائهم ودعاتهم ، وأحبوهم وأنزلوهم المكانة اللائقة بهم ، فإن الدعاة سيتبدل حالهم إلي أحسن وأفضل ، وسيبذلون قصاري جهدهم في أن يكونوا قدوة حسنة ، صالحة ، مخلصة ناصحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم .

وبهذا لعلي أكون – في عرض هذا الموضوع – وضحت الأسباب في إيجاد الفجوة بين الدعاة والمدعوين وسبل علاجها ، وقد تكون هناك أسباب أخري وسبل علاج أخري لم يصل إليها علمي وفكري المحدود فحسبي أني استفرغت الوسع والطاقة فيه ، وإن اتفق لي إصابة الحق من القول الذي أنا بصدده فذلك فضل الله جل شأنه .

وإن شان قولي زلل أو خطأ أو تقصير فذلك مني ومن الشيطان ، والله المسئول أن يغفر الزلل .

وأسأله سبحانه أن يتقبل هذا العمل بقبول حسن ، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به كاتبه وقارئه ، وأن يجعله في ميزان حسناتي وحسنات والدي وأهل بيتي، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه أجمعين .

(١ انظر قواعد في التعامل مع العلماء ص ١١١

(٢) فتح الباري – كتاب الفتن – باب لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه جـ ١٣ ص ٢٢

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم جل من أنزله .

٢- أثر العلم في تصحيح الحياة د / صالح غانم السدلان – بحث مقدم للقاء السادس غرب أفريقيا المنعقد في نواكشوك في ٢٣-١٤١٣/١١/٢٦هـ

٣- أساليب الغزو الفكري للعالم الاسلامي د / علي جريشه – محمد الزبيق – دار الاعتصام .

٤- الاسلامية والمذهبية الأدبية – نجيب الكيلاني –مؤسسة الرساله – بيروت – الطبعة الثانية عام ١٤٠١هـ

٥- إعلام الموقعين لابن قيم الجوزية – تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد – المكتبة العصرية – بيروت عام ١٤٠٧هـ

٦- البداية والنهاية لابن كثير –دار الفكر .

٧- بهجة قلوب الأبرار – عبد الرحمن السعدي – دار المعارف الرياض .

٨- بيان فضل علم السلف لابن رجب الحنبلي – مكتبة دار البيان الطبعة الأولى عام ١٤١٣هـ

٩- تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر – عبد الرحمن الرافعي – دار المعارف – الطبعة الخامسة عام ١٤٠١هـ .

١٠- التبشير والاستعمار في البلاد العربية د / مصطفي الخالدي ، د / عمر فروخ – المكتبة العصرية – بيروت .

١١- تذكرة الدعاة – البهي الخولي – دار التراث – الطبعة الثانية عام ١٩٨٧م.

١٢- تزكية النفس – أبو البراء سعد بن محمد – بدون .

١٣- التصفية والتربية وأثرها في استئناف الحياة الاسلامية – علي حسن عبد الحميد دار التويد الطبعة الثانية عام ١٤١٤هـ .

١٤- تفسير النسفي – دار الكتاب العربي – بيروت .

١٥- تفسير البيضاوي – دار الكتب العلمية – بيروت .

١٦- تفسير القرآن العظيم لابن كثير .

١٧- التفسير القيم لابن القيم – تحقيق محمد حامد الفقي – دار الكتب العلمية – بيروت لبنان .

١٨- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ السعدي – مكتبة نزار الباز بمكة المكرمة عام ١٤٠٥هـ .

١٩- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي – دار الكتب العلمية – بيروت .

٢٠- جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر القرطبي – المكتبة العلمية – بيروت .

٢١- جامع البيان في تأويل القرآن للآمام ابن جرير الطبري – دارالحديث – القاهرة عام ١٤٠٧هـ .

٢٢- حديث الروح – محمد وذكاء قلعجي – دار الفكر – بيروت الطبعة الأولي .

٢٣- الحسبة في الماضي والحاضر بين ثبات الأهداف وتطور الأسلوب .

٢٤- الخطابة الدينية بين النظرية والتطبيق د / عبد الغفار عزيز – دار الحقيقة للاعلام الدولي .

٢٥- الخطابة الدينية بين المنهج والواقع – للمؤلف – دار الهلال بأسيوط الطبعة الأولي – عام ١٤١٤هـ -١٩٩٤م.

٢٦- الخطر اليهودي – بروتوكلات حكماء صهيوت محمد خليفة التنس مكتبة التراث بالقاهرة .

٢٧- خواطر علي الدعوة – جراح وأفراح – محمد حسان – دار المسلم بالرياض الطبعة الأولي عام ١٤١٤هـ .

٢٨- الدرالمنثور للسيوطي .

٢٩- الدعوة إلي الاسلام وأركانها – أحمد عز الدين البيانوني – دار السلام – الطبعة الثانية عام ١٤٠٥هـ .

٣٠- دعوة غير المسلمين في مدينة الرياض د / عبد الله اللحيدان – رسالة دكتوراه في كلية الدعوة الأعلام بالرياض عام ١٤١٧هـ .

٣١- الدعوة إلي الله – الرسالة – الوسيلة الهدف د / توفيق الواعي – دار اليقين – مصر – الطبعة الثانية ١٤١٦هـ .

٣٢- الرأي العام في ضوء الإسلام د / سيد محمد ساداتي الشنقيطي – دار عالم الكتب – الرياض – الطبعة الأولي عام ١٤١٠هـ .

٣٣- رفع الملام عن الأمة الأعلام لشيخ الاسلام ابن تيمية .

٣٤- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء – أبي حاتم محمد بن حبان البستي – تحقيق / عادل أحمد عبد الموجود – علي محمد عوض –مكتبة نزار الباز الرياض الطبعة الثانية عام ١٤١٨هـ .

٣٥- زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم – مؤسسة الرسالة الطبعة الأولي عام ١٣٩٩هـ

٣٦- سنن الترمذي – تحقيق أحمد شاكر مطبعة – مصطفي الحلبي الطبعة الثانية عام ١٣٩٨هـ

٣٧- سنن أبي دواد – تحقيق محمدمحي الدين عبد الحميد – دار الفكر .

٣٨- سنن ابن ماجه – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي – دار أحياء التراث العربي .

٣٩- سنن الدارمي – تحقيق عبد الله بن هاشم اليماني .

٤٠- سير اعلام النبلاء للأمام الذهبي – مؤسسة الرسالة بيروت .

٤١- شرح السنة للبغوي – تحقيق شعيب الأرناؤوط ، وزهير الشاديش – المكتب الإسلامي – الطبعة الأولي عام ١٣٩٠هـ .

٤٢- شرح النووي علي صحيح مسلم – دار احياء التراث العربي – بيروت – الطبعة الثانية ١٣٢٩هـ .

٤٣- صحيح البخاري – دار احياء الكتب – القاهرة .

٤٤- صحيح مسلم – دار المعرفة – بيروت .

٤٥- علماء الأزهر بين بونابرت ومحمد علي د / مالك رشوان مطبعة الأمانة ط ١- ١٤٠٩هـ .

٤٦- علم النفس وعلاقته بالدعوة الإسلامية – للمؤلف – دار الفردوس للطباعة بالقاهرة ط١- ١٤١٢هـ .

٤٧- الفتاوي لابن تيمية – عالم الكتب عام ١٤١٩هـ .

٤٨- فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني- دار الكتب العلمية – بيروت .

٤٩- فضائل الدعوة إلأي الخير والتبليغ لدين الله الشيخ / محمد الكاندهلوي – دار عمان – عمان ط١ عام ١٤١٢هـ .

٥٠- قواعد في التعامل مع العلماء / عبد الرحمن معلا اللويحق – دار الوراق – الطبعة الأولي – عام ١٤١٥هـ .

٥١- مدخل إلي الاعلام د / سيد ساداتي الشنقيطي – دار عالم الكتب بالرياض الطبعة الأولي عام ١٤١١هـ.

٥٢- المدخل إلي علم الدعوة / محمد أبو الفتح البيانوني – مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الثانية عام ١٤١٤هـ .

٥٣- المسئولية في الاعلام " النظرية والتطبيق " د / محمد البشر – دار عالم الكتب بالرياض – الطبعة الأولي عام ١٤١٨هـ .

٥٤- مسار الدعوة في العهد المكي أ.د/ محمد ابراهيم الجيوشي – مطبعة حسان .

٥٥- مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر د / علي صالح المرشد – مكتبة لينة للنشر والتوزيع – دمنهور الطبعة الأولي عام ١٤١٩هـ

٥٦- مشكلات الدعوة والداعية فتحيي يكن – مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة السادسة عشر عام ١٤١٧هـ .

٥٧- مسند الامام أحمد بن حنبل – دار صادر – بيروت .

٥٨- مفتاح دار السعادة لابن القيم –مطبعة زمزم بالرياض – الطبعة الأولي عام ١٤١٤هـ .

٥٩- مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي د / عبد الكريم بكار – دار المسلم بالرياض الطبعة الأولي عام ١٤١٧هـ .

٦٠- مكانة وسائل الإعلام الجماهيرية في تحقيق وحدة الأمة د / سيد ساداتي الشنقيطي – عالم الكتب بالرياض عام ١٤١٨هـ .

٦١- منهاج أهل السنة لابن تيمية – مكتبة ابن تيمية بالرياض .

٦٢- الموافقات للآمام الشاطبي .

٦٣- من قضايا الصحوة د / ناصر عبد الكريم العقل – دار المسلم – الطبعة الأولي عام ١٤١٦هـ

٦٤- نحو دعوة رشيدة – محمد عبد القادر – العبيكان عام ١٤١٦هـ .

٦٥- نحو منهج شرعي في تلقي الأخبار وروايتها أحمد بن عبد الله الصويان – دار النشر الدولي بالرياض – الطبعة الأولي عام ١٤١٤هـ .

٦٦- نظريات الغرب وحضارته في ميزان الاسلام – ماهر خليل – مجمع البحوث الاسلامية – الكتاب الثاني عام ١٩٨٦م.

٦٧- النكت والعيون للماوردي – مؤسسة الكتب الثقافية بيروت .

٦٨- هداية المرشدين إلي طرق الوعظ والخطابة – للشيخ علي محفوظ – دار الاعتصام – الطبعة التاسعة عام ١٣٩٩هـ .

٦٩- وجوب التثبت في الأخبار واحترام العلماء للشيخ صالح بن فوزان الفوزان – دار امام الدعوة بالرياض ط١ عام ١٤١٣هـ .

٧٠- وظيفة الإخبار في سورة الأنعام د / سيد ساداتي الشنقيطي –دار عالم الكتب بالرياض ط٣ عام ١٤١٠هـ .